بسم الله الرحمن الرحيم

المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

ثقافة التقريب

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

العدد ٦٤ ـ شوال ١٤٣٣هجرية قمرية

شهريور ١٣٩١هجرية شمسية /سبتمبر (ايلول) ٢٠١٢

- الآراء الواردة لا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المجمع العالمي للتقريب
- تسلسل الموضوعات خاضع لاعتبارات فنية

المراسلات:

العنوان البريدي للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية:

الجمهورية الإسلامية في إيران –طهران –ص. ب: ٦٩٩٥– ١٥٨٧٥

العنوان الالكتروني: info@taghrib.ir

الطباعة: حسين المندلاوي / على حروف (**قلم برتر**) خاص بالنشر المحترف

النسخة رقم (٢) من www.MaryamSoft.com

ثقافة التقريب

ملحق

رسالة التقريب

مجلة تثقيفية عامة تهتمّ بعرض الأفكار التي ترتبط بوحدة الأمة مباشرة أو بصورة غير مباشرة، مع التأكيد على ضرورة وضع المسلمين أمام مسؤولياتهم الكبرى في استعادة العزّة والكرامة واستئناف البناء الحضاري

الإشراف العام

الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

هيئة التحرير

مجموعة من الكتّاب الرساليين المهتمين بمستقبل
الأمة الإسلامية وبوحدة الدائرة الحضارية للعالم الإسلامي

إعداد المجلة:

مركز الدراسات الثقافية الإيرانية العربية

www.IranArab.com

منهجنا في نشر المقالات

١ـ أن يكون المقال ما قلّ في الصفحات ودلّ على فكرة مفيدة في حقل التقريب وصحوة الأمة ووحدتها.

٢ـ للمجلة الحقّ في التلخيص وتعديل العبارات، دون أي مساس في المحتوى، كي يكون المقال منسجمًا مع الإطار العام للمجلة.

٣ـ يحقّ للكاتب أن يطلب عدم ذكر اسمه، وهيئة التحرير سوف تنشر مقالاتها دون ذكر كاتبيها تجنبًا لتكرار الأسماء.

٤. ننشر أيضًا مختارات وعصارات مما كُتب في تراث التقريب.

٥. المقالات والتعليقات التي تعارض هدف المجلّة سوف ننشرها أيضًا إذا كانت ملتزمة بأدب الاختلاف، مع الاحتفاظ بحقّنا في التعليق.

المحتوى

العدد ٦٤

مؤتمرقمة عدم الانحياز ٤
قمة عدم الانحياز/مواصلة معاصرة ٧
قمة عدم الانحياز/وحدة الحاجة ١٠
قمة عدم الانحياز/وحدة الفطرة ١٣
قمة عدم الانحياز/نحو نظام دولي جديد ١٦
قمة عدم الانحياز/مفاهيم زائفة ١٩
قمة عدم الانحياز/الأمن المشترك ٢٢
قمة عدم الانحياز/مقاومة الشعوب ٢٦
قمة عدم الانحياز/ فلسطين مأساة إنسانية ٢٨
قمة عدم الانحياز/مشروع حل القضية الفلسطينية ٣٢
قمة عدم الانحياز/الدورالتاريخي ٣٥
قمة عدم الانحياز/الغزو الفكري وأساليب المواجهة ٣٨
قمة عدم الانحياز/حداثة مستقلة ٥١
قمة عدم الانحياز/استشراف المستقبل ٥٥
قمة عدم الانحياز/أسئلة الهوية والدفاع عن الهوية ٦٥
مجمع التقريب بحاجة إلى هيكلية جديدة ٨٢
التقريب بين المذاهب بين الواقع والمأمول ٨٤
ثقافة المقاومة ٩٦
التاريخ والحياة ٩٩
عزة الأمة في التقريب ١٠٣
القدس محوروحدة المسلمين ١٠٦
الرأي الفقهي في السلام مع إسرائيل ١١١

مؤتمر قمة عدم الانحياز

في الفترة من ٨/٢٨ –٩/١/ ٢٠١٢ انعقدت في طهران الدورة السادسة عشرة لحركة عدم الانحياز. وتميّزت هذه الدورة بثلاث خصائص بارزة:

الأولى ـ أنها أقيمت في طهران حيث قامت ثورتها ونظامها ودستورها على قاعدة لا شرقية ولا غربية، وهي بلورة لمفهوم عدم الانحياز.

الثانية ـ أنها انعقدت في ظروف دولية خاصة تشهد إرهاصات تحوّل دولي في ميزان القوى، وتصاعد إرادة الشعوب.

الثالثة ـ أنها واجهت حضورًا مكثفًا للدول الأعضاء واهتمامًا من هذه الدول بضخّ روح جديدة في الحركة.

والواقع أن حركة عدم الانحياز تقوم على أهداف ثقافية كبرى، تؤدي بالتالي إلى نتائج سياسية.

وأهم هذه الأهداف:

١ – الثقة بالذات، والإيمان بالطاقات الذاتية للفرد وللشعوب.

٢- الإيمان بأن القوى الطاغية المعادية للإنسان مهما استبدّت واستفحلت فإنها إلى زوال، ولا يمكن أن يكتب لها البقاء.

بالنسبة للهدف الأول نرى أن كل دعوات الإيقاظ والإحياء والإصلاح تتجه إلى أن يؤمن الإنسان بقواه الذاتية وبطاقاته المودعة فيه. القرآن الكريم في كثيرمن آياته يؤكد على مكانة الإنسان في الكون، وعلى الطاقة الإيمانية وقدرتها على التغلب على العقبات والصعاب. وهكذا السنة النبوية والمأثورعن الأئمة والصالحين والإحيائيين.

وبشأن الهدف الثاني يوجّه الإحيائيون أنظارالناس إلى حقيقة المتفرعنين وعدم الانبهاربهيلهم وهيلمانهم، وعدم الشعوربالهزيمة النفسية أمام بطشهم وزمجرتهم . هذا ما يقوله الخطاب الإحيائي الديني منه وغيرالديني.

نعود إلى ميزات هذه الدورة، والأولى ـ كما ذكرنا ـ أنها أقيمت في طهران، عاصمة البلد الذي ثارقبل أكثرمن ثلاثة عقود معتمدًا على الله وعلى نفسه، مؤمنًا بأنه قادرعلى تحقيق النصر، وهكذا كان، فقد انتصر، وواصل انتصاراته في الميدان العسكري، والاقتصادي، والعلمي، والثقافي، والفني.. رغم جبال راسيات من العقبات الداخلية والخارجية.

والخاصية الثانية أنها أقيمت في ظروف خاصة هامّة وحسّاسة

للغاية، فقوى الهيمنة التقليدية بعضها انهار، وبعضها تصدّعت وفي طريقها إلى الانهيار. والشعوب المقهورة بدأت تنتفض من رقادها وتطالب بعزّتها وكرامتها، وأن تكون لها مكانة في نظام دولي جديد.

هذا شعورعام ساد منظومة بلدان حركة عدم الانحياز، ولذلك هُرعت للمشاركة في قمة طهران، فكان لها الحضورالمتميّز، كما كان لها نشاطها المتميّزفي اللقاءات والمحادثات والمشاركات. وهذا العدد من ثقافة التقريب نخصّصه لقمة طهران.. لما يرتبط بالقمة من أبعاد ثقافية، إيمانًا منا أن التقريب بين الشعوب حول ما أسماه السيد الإمام الخامنئي «محورالحاجة» و«محورالفطرة» سيكون المظلّة التي ينضوي تحتها كل تقريب، بما في ذلك تقريب المذاهب الإسلامية.

إننا نجتمع اليوم لنواصل، بعون الله وهدايته، حركةً وُضعت قواعدُها قبل ستة عقود بجدارة وشجاعة وذكاء على يد عدد من القادة السياسيين الذين حملوا الإخلاص واستشعروا المسؤولية، نواصلها بما تقتضيه الظروف ومستلزمات عصرنا الراهن، بل لنضخّ في هذا التيارحياة جديدة وحركة جديدة.

الإمام الخامنئي مخاطباً قمة عدم الانحياز

قمة عدم الانحياز

مواصلة معاصرة

حركة عدم الانحياز يمكن اعتبارها خطوة مبكرة في القرن الماضي لتغيير الحياة الإنسانية نحو الأفضل.

والتغيير في المجتمعات البشرية يبدأ من تغيير المحتوى الداخلي للإنسان: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.

محور هذا التغيير يتمثل بثقة الإنسان بنفسه وبإيمانه أنه قادر على مواجهة التحديات.

منذ أن ظهرت على الساحة العالمية قوى كبرى مهيمنة طاغية، ظهر بين شعوب العالم اتجاهان: أحدهما يرى أن استمرار حياتها يتوقف على انضوائها تحت حماية واحدة من هذه القوى، والخضوع لها، والاستسلام لإرادتها. والآخر: يرى أن الحياة الحقيقية تتحقق في ظل العزّة والكرامة والاستقلال وحرية الإرادة والقرار. فلا يخضعون ولا يستذلون أنفسهم، بل يتعاملون مع الآخر بندّية واثقين أن هذا النوع من التعامل يجعلهم في أعين الآخرين محترمين ويجعلهم يشعرون أنهم أعزّة كرام مقتدرون.

وفي قرننا الماضي استفحلت قوتان كبريان شرقية وغربيّة، وترافق ذلك مع هزيمة داخليّة في نفوس بلدان ما يسمى بالعالم الثالث، ولذلك اتجهت هذه البلدان إلى الاحتماء بإحدى تلكما القدرتين، وسرت هذه الهزيمة الداخلية حتى إلى نفوس الفصائل «الثورية» ولذلك نجدها غالبًا يساريّة، انطلاقًا من اعتقادها بأن الوقاية من التغوّل الأمريكي لا تتحقق إلاّ باللجوء إلى القطب السوفيتي.

وفي خضمّ أجواء الهزيمة تلك انبثقت حركة عدم الانحيازلتعلن عدم انتمائها لالحلف الناتو ولالحلف وارشو.

أقدم المؤسسون للحركة على هذه الخطوة تحدوهم روح وطنية و إخلاص وشعور بالمسؤولية.

غيرأنّ الرؤية لم تكن واضحة تمامًا لدى الحركة بسبب عدم وجود خلفية فكرية وعقائدية لهذا التوجّه، ولذلك انحدرت الحركة في بعض سنوات تاريخها إلى اليسار، ثم بعد انهيارالاتحاد السوفيتي بدأت الشكوك تساورالأعضاء بشأن جدوى وجود الحركة.

وظلت فكرة الاعتماد على القوى الذاتية لبلدان عدم الانحياز وراء بقائها واستمرارها، دون أن يكون ثمة وضوح لأفق المستقبل خاصة بعد استفحال الطغيان الأمريكي وانفراده بالساحة العالمية تقريبًا.

وبدت أهميّة تفعيل حركة عدم الانحيازواضحة بعد ما مارسته أمريكا والغرب في أفغانستان والعراق وليبيا، وظهرأن شعوب آسيا

وأفريقيا وأمريكا اللاتينية مهددة بأجمعها للعدوان ولزعزعة الأمن والاستقرار فيها، وفي هذه الأجواء جاء انعقاد قمة عدم الانحياز في طهران ليكون أكبر تظاهرة إنسانية في هذا القرن تعلن رفضها للأوضاع القائمة على أساس منطق القوة والهيمنة. ويعود سبب هذا النجاح الباهر للقمة والحشد العالمي الكبير فيها إلى ما ذكرنا من سيادة الأجواء الرافضة للهيمنة الأمريكية والغربية، إضافة إلى عامل مهم آخر هو انتقال رئاسة الحركة إلى طهران.

طهران أصبحت خلال العقود الثلاثة الأخيرة مركز إشعاع لفكرة ضرورة التخلص من هيمنة القوى المادية على العالم، وضرورة تحرير الأمم المتحدة من هيمنة بلدان الفيتو، وضرورة المشاركة العالمية في إدارة شؤون المعمورة، وضرورة استتباب العدل والسلام في ربوع كرتنا الأرضية.

من هنا تصاعدت آمال البلدان والشعوب المقهورة في عودة الحياة لحركة عدم الانحياز بما تتطلبه ظروف عالمنا الراهن. وهذا ما بشّر به السيد القائد الإمام الخامنئي في مستهل خطابه لقمة عدم الانحياز إذ قال:

« إننا نجتمع اليوم لنواصل، بعون الله وهدايته، حركةً وُضعت قواعدُها قبل ستة عقود بجدارة وشجاعة وذكاء على يد عدد من القادة السياسيين الذين حملوا الإخلاص واستشعروا المسؤولية، نواصلها بما تقتضيه الظروف ومستلزمات عصرنا الراهن، بل لنضخّ في هذا التيار حياة جديدة وحركة جديدة».

قمة عدم الانحياز
وحدة الحاجة

مـــا الـــذي يجمـــع بلـــدان عدم الانحياز،مع مـــا بيـــنهم مـــن انتماءات مختلفة إقليميـــة ودينيـــة وتاريخيـــة؟ ثمـــة مشترك هام بين هذه البلدان هو شعورها بالقلق تجاه ما يحدث على الساحة الدولية من منطق الغاب،حيث يسيطرالقوي على الضعيف ويسحقه ويتلاعب بمقدراته دون رحمة.هذه السيطرة مشهودة اليوم في انتشارالقواعد العسكرية، وفي نهب ثروات الشعوب، والاستهانة بمقدساتها، والضغط على الحكام لتنفيذ مآربها، وتوجيه الضربة القاضية إليهم متى ما انتهى تاريخ استهلاكهم.

إذن هناك حاجة إلى مؤسسة تصون هذه البلدان من هذا التغوّل، خاصة و إن الأمم المتحدة فقدت مصداقيتها بعد أن أصبحت تنفّذ مآرب القوى المستفحلة وتسيرفي ركاب الطغاة والظالمين غيرآبهة بمعاييرالعدالة والقيم الإنسانية.

إن وحدة (الحاجة) هي التي دفعت يومئذ بالمؤسسين لعدم الانحيازإلى تأسيس الحركة، لكن الحاجة اليوم تزداد مع التطوّر الذي شهده العالم في سبل الهيمنة وفرض السيطرة وممارسة الاستبداد.

آليات التجسس على الشعوب والحكومات، وأجهزة غسل الأدمغة عن طريق شبكات الاتصال ووسائل الإعلام، ووسائل الدمارالشامل،وسبل التدخل في شؤون البلدان قد تطوّرت في عصرنا الراهن، وبذلك ازدادت (الحاجة) أكثرمن ذي قبل لأن تحتمي البلدان في صيغة تعاون جادّة بينها كي تقى نفسها من هذه الشرورالمتصاعدة على ظهرالأرض.

(وحدة الحاجة) كانت قائمة في مؤتمرباندونغ سنة ١٩٥٦ وازدادت اليوم زيادة كبيرة. و إلى هذا يشيرالإمام القائد في كلمته الافتتاحية لمؤتمرقمة عدم الانحياز إذ يقول:

« إنّ ضيوفنا قد اجتمعوا هنا من مناطق جغرافية بعيدة وقريبة وينتسبون لقوميات و إثنيّات مختلفة وينتمون إلى خلفيات اعتقادية وثقافية وتاريخية ووراثية متنوعة، ولكن ـ وكما قال أحمد سوكارنو أحد المؤسسين للحركة في مؤتمرباندونغ سنة ١٩٥٦ ـ إن تشكيل عدم الانحيازلا يقوم على أساس وحدة جغرافية أو إثنيّة أو دينيّة، بل على أساس احتياجات مشتركة. كانت بلدان عدم الانحيازآنئذ بحاجة إلى رابطة تصونها من سيطرة شبكات الهيمنة والجشع

والاستكبار. واليوم، فمع تطوراتّساع آليات الهيمنة، فإن هذه الحاجة لا تزال قائمة».

ويقول أيضًا:

« إنّ الأهداف الأساسية لحركة عدم الانحيازمثل مكافحة الاستعماروتحقيق الاستقلال السياسي والاقتصادي والثقافي، وعدم التبعية لأي قطب من أقطاب السلطة، ورفع مستوى التضامن والتعاون بين البلدان الأعضاء لا تزال اليوم ـ رغم مضيّ ستة عقود ـ حيّة راسخة. و إن واقع العالم اليوم رغم ابتعاده عن تلك الأهداف، إلا أن الإرادة الجماعية والمساعي المتظافرة لتجاوزهذا الواقع ونيل تلك الأهداف ـ مع كل ما يواجهها من تحديات ـ مثمرة وتبعث على الأمل».

إنّ ضيوفنا قد اجتمعوا هنا من مناطق جغرافية بعيدة وقريبة وينتسبون لقوميات و إثنيّات مختلفة وينتمون إلى خلفيات اعتقادية وثقافية وتاريخية و وراثية متنوعة، ولكن ـ وكما قال أحمد سوكارنو أحد المؤسسين للحركة في مؤتمرباندونغ سنة ١٩٥٦ ـ إن تشكيل عدم الانحيازلا يقوم على أساس وحدة جغرافية أو إثنيّة أو دينيّة، بل على أساس احتياجات مشتركة.

الإمام الخامنئي مخاطباً قمة عدم الانحياز

قمة عدم الانحياز
وحدة الفطرة

عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(ع) في عهده إلى مالك الأشتر لما ولاّه مصر «إن الناس صنفان: إما أخ لك في الدين أو شبيه (نظيرٌ) لك في الخلق».الأخوّة في الدين واضحة، أما الشبه في الخلق فلا يعني طبعًا التشابه في المظهروالهندام وأعضاء الجسم، فذلك واضح كل الوضوح، ولا يحتاج إلى تأكيد، بل يعني التشابه في (الفطرة).

البشرجميعًا يحملون طبيعة مشتركة وحين تكون هذه الفطرة سالمة من عوامل الانحراف فإنها تدفعهم جميعًا نحو أهداف إنسانية تكاملية واحدة، وتجعلهم يحملون آمالاً واحدة وآلامًا واحدة وعواطف إنسانية واحدة.

وحدة النظرة هذه تستطيع أن تكون قاعدة لاجتماع البشرحول مائدة واحدة، ويتحدثون بلغة واحدة، ويتفقون حول أهداف واحدة.

الأديان الإلهية استهدفت جميعًا التأكيد على هذه الحقيقة.. حقيقة المشترك الفطري بين البشر، واستهدفت أيضًا نفض الغبار عمّا ران على هذه الفطرة من كَدَر الانحراف لتعود تؤدي دورها في توحيد المجموعة البشرية و إحلال التعاون والسلام والحبّ في ربوعها. يقول سبحانه: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾.

وبمناسبة انعقاد مؤتمر قمة عدم الانحياز في طهران يعود إلى الأذهان كل ما يمكن أن يجمع البشرية المعذبة وينقذها من هذه الأخطار التي تهدد وجودها وكرامتها.

والسيد الإمام الخامنئي ركز في خطابه إلى القمة على (وحدة الحاجة) ولكنه وقف أكثر عند وحدة الفطرة إذ قال:

«إنني أودّ أن أبيّن حقيقة أخرى.

لقد علّمنا الإسلام أن أفراد البشر ـ مع تنوعهم القومي واللغوي والثقافي ـ يمتلكون فطرة واحدة تدعوهم إلى الطُّهر والعدلِ والإحسان والمواساة والتعاون.

وهذه الطبيعة المشتركة، لو تجاوزت بسلام عواملَ التّيه والضلال، فإنها ستهدي أفراد البشر إلى التوحيد ومعرفة ذات الله تعالى.

هذه الحقيقة الساطعة لها طاقة استيعابية تمكّنها أن تشكل أساسًا وسندًا للمجتمعات الحرّة الكريمة المتمتعة بالتطور والعدالة معًا، وأن تجعل نور المعنوية يسري في نشاطات البشر كلها المادية

منها والدنيوية، وتخلق لهم جنّة في الدنيا قبل ما وعدت به الأديان الإلهية من جنّة أخروية. وهذه الحقيقة المشتركة العامة هي التي تستطيع أن تضع أساس التعاون الأخوي بين الشعوب التي لا تتشابه مع بعضها في الشكل الظاهري وفي الخلفية التاريخية والموقع الجغرافي.

إنّ التعاون الدولي حين يقوم على هذا الأساس سيجعل الحكومات تقيم العلاقات بينها لا على أساس الخوف والتهديد والجشع والمصالح الأحادية، أو سمسرة الخونة المأجورين، و إنما على أساس المصالح السليمة المشتركة، بل وفوق ذلك على أساس مصالح الإنسانية، وبذلك يريح هؤلاء ضميرهم اليقظ و بالَ شعوبهم من كل هاجس.

هذا النظام المثالي يقع في النقطة المقابلة لنظام الهيمنة الذي تزعمته ودعت إليه قوى التسلط الغربية وتتزعمه اليوم الإدارة الأمريكية المتعنّتة المعتدية».

قمة عدم الانحياز
نحو نظام دولي جديد

مـرّ العـالم فـي القـرن الماضـي بتجـربتين مهمتـين فـي النظـام الـدولي. التجربة الأولى: فتـرة الحـرب البـاردة بـين كتلتـين كانتـا تقتسـمان العـالم، وتتصـارعان على مناطق النفوذ. وفـي هـذه الفتـرة كان ثمة تعادل نسبي يسود الساحة الدولية، يقوم على خلفية توازن القوى، وخشية كل كتلة من الكتلة الأخرى. فالاستقرار النسبي لـم يكـن يقـوم علـى أسـاس قـيم إنسـانية، بـل علـى أسـاس تعـادل (الخـوف). وبعـد انهيـار الكتلـة الشـرقية، راح الغـرب يـبطش بقسـوة لفرض هيمنته الأحادية على العالم. هاتـان التجربتان تفرضـان علـى البلـدان التـي تريـد أن تعـيش بمنـأى عـن هـذا الصـراع الـدولي المـادي المحموم أن يكون لها دور في إدارة شؤون العالم.

تجربة حركة الانحياز أثبتت أن البلدان المتضررة من هيمنة الـدول المتسلطة المتجبرة تستطيع باتحادها وتفعيل تضامنها أن تمسك بيدها

أو أن تشارك على الأقل في غرفة قيادة العالم.

ثم إن التطورات العالمية الأخيرة أبرزت على الساحة قوى جديدة حلّت محل القوى التقليدية القديمة، وهذا يبشّر بتوفر فرصة لدول عدم الانحياز من أجل رسم إدارة جديدة للعالم تقوم على أساس المشاركة لتحقيق نظام دولي عادل. و إلى هذا النظام الدولي الجديد يشير السيد القائد في خطابه إلى قمة عدم الانحياز بطهران إذ يقول:

«نحن شهدنا في الماضي القريب هزيمة سياسات عصر الحرب الباردة والنزعة الأحادية التي تلته، والعالم يتجه اليوم نحو نظام دولي جديد مستفيدًا من دروس هذه التجربة التاريخية، وحركة عدم الانحياز تستطيع أن تنهض بدور جديد، بل لابدّ لها ذلك. هذا النظام ينبغي أن يقوم على أسس المشاركة الجماعية وتساوي الحقوق بين الشعوب، و إنّ تضامننا نحن البلدان الأعضاء في هذه الحركة يعدّ من الضروريات البارزة الراهنة من أجل بلورة هذا النظام الجديد.

إنّ أفق التطورات العالمية يبشّر ــ لحسن الحظ ــ بنظام تعدّدي تستبدل فيه القوى العالمية التقليدية بمجموعة من البلدان والثقافات والحضارات المتنوعة ذات المنطلقات الاقتصادية والسياسية المتنوعة. الحوادث المدهشة التي شهدناها في العقود الثلاثة الأخيرة تدل بكل وضوح على أن ظهور القوى الجديدة تزامن مع بروز الضعف في القوى القديمة. هذا التغيير التدريجي في مواقع القوة يوفّر لدول عدم الانحياز فرصة لتنهض بدور فاعل لائق على الساحة العالمية، ولتمهّد

لإدارة عادلة وتشاركية حقيقية على صعيد العالَم. إننا نحن البلدان الأعضاء في الحركة استطعنا في برهة طويلة مع ما بيننا من تنوّع في الآراء والتوجّهات أن نحافظ على تضامننا وارتباطنا في إطار الأهداف المشتركة، وإنّ هذا ليس مكسبًا عاديًا وصغيرًا. هذا الارتباط بإمكانه أن يتحول إلى آلية للانطلاق نحو نظام عادل وإنساني.

إنّ في الظروف العالمية الحالية فرصة قد لا تتكرر لحركة عدم الانحياز. ما نود تأكيده هو أن لا تُترك غرفة قيادة العالم خاضعة لإدارةٍ وتحكمٍ دكتاتوري لبعض الدول الغربية. لابدّ من بلورة وضمان مشاركة ديمقراطية عالمية على صعيد الإدارة الدولية. وهذه هي حاجة جميع البلدان التي تضرّرت ومازالت متضررة من الهيمنة المباشرة وغيرالمباشرة لعدد من الدول المتسلطة المتجبّرة.»

لقد علّمنا الإسلام أن أفراد البشر ـ مع تنوعهم القومي واللغوي والثقافي ـ يمتلكون فطرة واحدة تدعوهم إلى الطُّهرِوالعدلِ والإحسان والمواساة والتعاون.
الإمام الخامنئي مخاطباً قمة عدم الانحياز

قمة عدم الانحياز

مفاهيم زائفة

من المفارقات الكبيرة المشهودة على الساحة العالمية اليوم أنّ القوى الطاغية في العالم ترتكب أبشع الجرائم تحت غطاء المفاهيم الإنسانية.

كثيرًا ما نسمع أصوات الدفاع من حقوق الإنسان الإنسان وعن الديمقراطية ومكافحة الإرهاب، لكننا نستطيع أن نفهم دونما صعوبة أن القوى المتجبرة التي تطلق هذه الشعارات تستهدف إخفاء نواياها الشريرة في قتل البشرودعم الدكتاتوريات ونشرالإرهاب في العالم.

وكل هذا يحدث بمباركة منظمة الأمم المتحدة ومساندتها. ومن أجل أن يجعلوا الشعوب تقتنع بأكاذيبهم يعمدون إلى مختلف وسائل التأثيرالنفسي، وخاصة عبرقنوات وسائل الإعلام التي تكرر أكاذيبهم ليل نهارضمن قواعد الحرب النفسية، وبذلك يحوّلون صورة الظالم إلى مظلوم، والمظلوم إلى ظالم، والبريء إلى مجرم

والمجرم إلى بريء، ويساعدهم في ذلك مع الأسف إعلام بعض الحكام الذين أوقعوهم في شراكهم، وألزموهم بالسير في ركابهم.

هذه المفارقات يستعرضها الإمام الخامنئي في خطابه الموجه إلى قمة عدم الانحياز ليبين ضرورة أن تنهض الحركة بدورفاعل للتخلص من هذا الوضع المزري يقول:

«إنّ مجلس الأمن التابع لمنظمة الأمم المتحدة ذو هيكلية ونظام غيرمنطقي ظالم لا ديمقراطي تمامًا. إنها ديكتاتورية صريحة، وآلية قديمة متهرّئة منسوخة انتهى تاريخ استهلاكها، هذه الآلية الخاطئة هي التي مكّنت أمريكا وعملائها أن يفرضوا على العالم غطرستهم بغطاء من المفاهيم النبيلة.

إنهم يتبجّحون بـ«حقوق الإنسان» قاصدين بذلك مصالح الغرب، ويرفعون شعار«الديمقراطية» ويمارسون باسمها التدخل العسكري في البلدان، ويدعون: «مكافحة الإرهاب» بينما يصبّون حِمَم قنابلهم وأسلحتهم على الناس العُزّل في القرى والمدن. إنّ البشرية ــ في حساباتهم ــ تنقسم إلى مواطنين من الدرجة الأولى والثانية والثالثة، والأمن في أمريكا وأوروبا أمرهام، لكنه لا أهمية له بالنسبة لبقية أبناء البشر. فأرواح الناس في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية رخيصة وفي أمريكا وغرب أوروبا غالية. وأعمال التعذيب والإرهاب لو ارتُكبت بيد الأمريكيين والصهاينة وعملائهم فهي مُجازة يُغض

الطرف عنها، وسجونهم السرية المنتشرة في بقاع عديدة وفي مختلف القارات والتي يُرتكب فيها أبشع وأفظع أنواع الممارسات بحقّ السجناء المسلوبين حقّ الدفاع والتمتع بمحاكمة عادلة بحضور المحامين.. كلّ ذلك لا يؤلم ضمائرهم، والسّيء والحسن يتم تحديدهما ضمن عملية انتقائية أحادية الجانب تمامًا، ومصالحهم تقدم باسم «القوانين الدولية» وخطابهم المتعنّت اللاشرعي يفرضونه على الشعوب باسم «المجتمع الدولي». بينما يحاولون عبرشبكة إعلامية احتكارية منظمة الإيحاء بأن أكاذيبهم صدق، وأنّ باطلهم حق، وأن ظلمهم قسط وعدل. ومقابل ذلك إنهم يسمون كلَّ كلام حقّ يفضح خداعهم كذبًا، وكلَّ مطالبة بالحقّ تمرّدًا.

أيها الأصدقاء! إنّ هذا الوضع المعيب المضرّلا يمكن أن يستمر. فالجميع قد تعبوا من هذه الهندسة الدولية الخاطئة. وفي انتفاضة تسع وتسعين بالمائة من الشعب الأمريكي ضد مراكزالثروة والسلطة في ذلك البلد، والاحتجاجات العامة في البلدان الغربية تجاه الممارسات الاقتصادية لحكوماتها خيردلالة على أن كَيل صبرالشعوب وتحملها قد طفح بسبب هذه الأوضاع، ولا بد من معالجة هذا الوضع اللامعقول.

إنّ الرباط القوي والمنطقي والشامل بين الدول الأعضاء في حركة عدم الانحيازمن شأنه أن يلعب الدورالفاعل العميق في التوصل إلى طريقٍ للعلاج والسيرعليه».

قمة عدم الانحياز
الأمن المشترك

(الأمـن) حاجـة بشـرية مشـتركة لا تقـل عـن حـاجتهم إلى الطعام. والقـرآن الكـريم يذكـر مِنّة الله سـبحانه علـى قريش بقوله: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ .

فـي ظـل الأمـن ينصـرف الإنسـان إلى الإبـداع والتكامـل المـادي والمعنوي، ويشعربكرامته و إنسانيته ومسؤوليته في الحياة.و إذا انعدم الامن تتبدد كل الطاقات المبدعة الخلاّقة ويسود القلق والاضطراب وينعدم التعادل النفسي والروحي في المجتمع.

القـوى المتفرعنـة تتفـنن فـي مـلء ترسـاناتها بـأنواع أسـلحة الـدمار الشـامل وتعلن على الملأ حركات أساطيلها وجيوشها لتبعث الرعب والخوف على الساحة العالمية.

ومن عجائب هذا الزمان أن هذه القوى تحـاول أن تلقـي تبعة هذا الخـوف والرعـب علـى مـن لا يمتلـك الأسـلحة المـدمرة، ولا يفكـر فـي امتلاكها واستخدامها.

وقصة الملف النووي الإيراني يختزل كل هذه الحالة المؤسفة المشهودة على الساحة العالمية.

أولئك الذين أزهقوا أرواح البشر في هيروشيما ونكازاكي بقنابلهم الذرية، يوجهون سهام الاتهام إلى الجمهورية الإسلامية بشأن ملفها النووي السلمي.

والكيان الصهيوني المزوّد بالأسلحة الذريّة يحرّض باستمرار على منع إيران من تخصيب اليورانيوم، مع أن تقارير وكالة الطاقة الذرية تجمع على الاستخدام السلمي للطاقة الذرية في إيران.

اللعب بورقة الأمن من أفظع صور استهانة فراعنة الأرض واستخفافهم بعقول الشعوب.

وحول هذه المسألة يقف السيد القائد في خطابه لقمة عدم الانحياز ويقول:

«إنّ السلام والأمن الدولي من المسائل الهامّة الحاسمة في عالمنا المعاصر، ونزع أسلحة الدمار الشامل التي تسبب الكوارث ضرورة فورية ومطلب إنساني عام. إنّ الأمن في عالمنا اليوم ظاهرة مشتركة لا تقبل التمييز، والذين يملأون ترساناتهم بالأسلحة المضادة للبشرية لا يحق لهم أن يرفعوا راية الأمن العالمي. لأن ذلك، من دون شك، لن يوفّر الأمن لهم أنفسهم. إننا نشاهد اليوم ـ مع شديد الأسف ـ الدول التي تمتلك الكم الأكبر من الأسلحة النووية، ليس لها الإرادة الجادة والحقيقية للقضاء على هذه الأسلحة الفتاكة من منظومتها

العسكرية، بل مازالت تعتبرها عاملًا لمواجهة التهديدات ومؤشرًا مهمًا في تعريف مكانتها السياسية والدولية. وهذا التصوّر مرفوض ومطرود تمامًا.

فالسلاح الذري لا يوفّر الأمن ولا يدعم السلطة السياسية، بل هو تهديد لكليهما. وحوادث التسعينيات من القرن العشرين بيّنت أن امتلاك هذه الأسلحة لم يؤد إلى بقاء نظام كالنظام السوفيتي السابق. ونحن اليوم أيضًا نعرف بلدانًا تتعرض لأمواج مهلكة من انعدام الأمن رغم امتلاكها القنبلة الذرية.

إنّ الجمهورية الإسلامية الإيرانية ترى أن استخدام السلاح النووي والكيمياوي وأمثالها ذنب كبير لا يُغتفر. ونحن رفعنا شعار «شرق أوسط خال من الأسلحة النووية» وملتزمون بهذا الشعار. وهذا لا يعني طبعًا عدم ممارسة حقنا في الاستخدام السلمي للطاقة الذرية و إنتاج الوقود الذري. فالأغراض السلمية لهذه الطاقة حقّ لجميع البلدان استنادًا إلى القوانين الدولية. ولها بأجمعها أن تستفيد من هذه الطاقة السليمة في المجالات الحياتية المتنوعة للبلدان والشعوب، وأن لا تكون تابعة لغيرها في ممارسة هذا الحق. إن بضع دول غربية، تمتلك هي السلاح النووي المحظور وتريد في الوقت نفسه أن تحتكر إنتاج الوقود النووي. ثمة تحرك مشبوه في طريقه إلى البروز يستهدف أن يبقى إنتاج الوقود النووي حِكرًا على جهات تسمى دولية، لكنها تنحصر في بضع دول غربية.

إنّ المضحك المبكي في عالمنا اليوم هو أنّ الإدارة الأمريكية التي

تمتلك أكثروأفتك الأسلحة النووية بالإضافة إلى سائرأسلحة الدمار الشامل، وهي وحدها التي ارتكبت وزر استعمالها، تريد اليوم أن ترفع راية معارضة الانتشارالنووي. هذه الإدارة وشركاؤها الغربيون قد جهّزوا الكيان الصهيوني الغاصب بالأسلحة الذرية، وعرّضوا هذه المنطقة الحساسة لتهديد كبير، وفي الوقت ذاته لا تتحمّل هذه المجموعة الماكرة الاستخدام السلمي للطاقة الذرية من قبل البلدان المستقلة، بل إنها تقف موقف المعارض بكل ما تمتلكه من قوة تجاه إنتاج الوقود النووي لصناعة الأدوية وسائرالأغراض السلمية الإنسانية. ذريعتهم الكاذبة هي الخوف من امتلاك السلاح النووي. بالنسبة للجمهورية الإسلامية الإيرانية، إن هؤلاء أنفسهم يعلمون أنهم يكذبون. لكن الممارسات السياسية حين تخلو من أدنى أثرللقيم الروحية، فإنها تجيزالكذب أيضًا. تُرى من يتبجّح في القرن الحادي والعشرين بالتهديد النووي دونما حياء وخجل هل يستحي من ترديد الأكاذيب؟!!

أنني أؤكد أن الجمهورية الإسلامية ليست في صدد امتلاك السلاح النووي، كما وأنها لا تتخلّى أبدًا عن ممارسة حقها في الامتلاك السلمي للطاقة الذرية. إن شعارنا هو «الطاقة الذرية للجميع والسلاح الذري ليس لأحد». نحن مصرّون على الجزئين كليهما، ونعلم أن كسر احتكاربضع دول غربية في إنتاج الطاقة الذرية، في إطارمعاهدة عدم الانتشار، هولصالح البلدان المستقلة جميعها بما في ذلك البلدان الأعضاء في حركة عدم الانحياز».

قمة عدم الانحياز
مقاومة الشعوب

الإنسان حي بمقاومته، فجسمه ـ إن فقد المقاومة ـ تفتك به الجرائيم فتكًا ذريعًا، وهذا ما نشاهده في جسم الإنسان لدى الموت، ولدى إصابته بفقدان المناعة المكتسبة. وروحه ـ إن فقدت المقاومة ـ تجتمع عليها عوامل الضعف والهزيمة والفشل فتشلّها عن كل إقدام ودخول إلى ساحة الحياة. والمجتمع البشري كذالك، إذا قاوم توفرت له كل مظاهرالحياة من عزّة وكرامة وانتصار، و إذا فقد مقاومته ذلّ وخرج من ساحة التاريخ. و إذا كان جسم الإنسان مزوّد بجهازللمقاومة فإن روح الإنسان مزوّدة فطريًا بالتوجه نحو ما يحقّق عزّة الإنسان وكرامته وحركته التاريخية.

وأفلاطون أطلق على جهازالمقاومة أو المانعة اسم «التيموس» ليقول أنه وراء كل حركة البشرية في التاريخ. ثم تبنّى ذلك هيغل،وأراد فوكوياما أن يستخدم ذلك ليقول إن طموح البشرية يتحقّق في الليبرالية الديمقراطية، وهو استخدام سيّء أوقعه في تناقضات يذكرها هو في كتاب *نهاية التاريخ*.

إنّ أكبردرس حصلت عليه الشعوب في مقاومتها هو أنها ستنتصرعلى مذلّيها وساحقي كرامتها، ولعلّ إلى ذلك نشيرالآية الكريمة: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ﴾.

وهذا الانتصارشهدناه بأم أعيننا في السنوات الأخيرة بإيران ولبنان وفلسطين وبلدان الشعوب العربية الثائرة في شمال أفريقيا.

ثقافة المقاومة يجب أن لا تغيب عن بلدان حركة عدم الانحياز لأنها تواجه تحديات هائلة تحاول أن تثنيها عن طريقها وتوقعها في شراك قوى الهيمنة العالمية. و إلى هذه الثقافة يشيرالسيد القائد في خطابه لقمة عدم الانحياز إذ يقول:

«إن تجربة العقود الثلاثة قد أدت بالجمهورية الإسلامية إلى الاعتقاد التام بهذه الحقيقة وهي: إن مقاومة شعب متّحد ذي عزم راسخ، قادرة أن تتغلب على كل عداء وعناد، وأن تفتح طريق العزة نحو تحقيق الأهداف السامية. والتطورالشامل في بلادنا خلال العقدين الأخيرين حقيقة ماثلة أمام أعين الجميع، وهذا ما اعترف به مؤسسات الرصد الدولية الرسمية مرارًا، وكل ذلك قد تحقق في ظروف المقاطعة والضغوط الاقتصادية والهجوم الإعلامي للشبكات المرتبطة بأمريكا والصهيونية. فألوان الحصارالذي قال عنه المهرجون بأنه يؤدي إلى شلل بلدنا، لم ولن يؤدي إلى ذلك، بل إنه جعل خطواتنا أكثرسدادًا وهِمَمَنا أبعد أفقًا، ورسّخ ثقتنا بصحة تحليلنا للأوضاع ، وهكذا القوة الذاتية لشعبنا. نحن شاهدنا عون الله سبحانه في مثل هذه التحديات بأم أعيننا مرات ومرات».

قمة عدم الانحياز

فلسطين مأساة إنسانية

لانكون مبالغين إذا قلنا إن القضية الفلسطينية تختزل كل صور المأساة التي تعيشها البشرية في عصرنا الراهن.

هذه القضية فيها ذورة الظلم والقتل والخداع والدماروالغصب والتشريد والتعذيب لجماعة من بني الإنسان. وهي بالمفهوم الإنساني مأساة البشرية جمعاء.

ويقف السيد القائد أكثرما يقف عند هذه المأساة الإنسانية ليقدم لقمة عدم الانحيازنموذجًا بارزًا للظلم السائد على الساحة.

والمحاورالتي يركزفيها الخطاب:

ـ اغتصاب بلد، ضمن مؤامرة غربية من أهله وتسليمه إلى جماعة نزح أغلبها من أوربا.

ـ هذا الغصب اقترن بمذابح جماعية وتشريد الفلسطينيين.

ـ استمرار ارتكاب المجازر والاعتقالات والاغتيالات.

ـ اطلاق صفة الإرهاب على الشعب الذي يطالب بحقّه.

ـ مسايرة الإعلام العالمي للخطاب الصهيوني.

ـ دفاع أدعياء حقوق الإنسان عن هذا الكيان الدموي.

ـ فشل كل المحاولات التي حملت لافتة تسوية القضية الفلسطينية. يقول السيد القائد:

«يلزمني هنا أن أتحدث إليكم عن مسألة مهمة للغاية. وهي وإن كانت مرتبطة بمنطقتنا، لكن أبعادها الواسعة تجاوزت ذلك لتترك آثارها على السياسات العالمية على مدى عقود، إنها قضية فلسطين المؤلمة. وباختصار فالقضية هي أن بلدًا مستقلًا ذا هوية تاريخية واضحة باسم فلسطين قد اغتُصب من شعبه ضمن مؤامرة غربية فظيعة بقيادة بريطانيا في الأربعينيات من القرن العشرين، وسُلِّم بقوة السلاح والقتل والخداع لجماعة نزح أكثر أفرادها من البلدان الأوربية. هذا الغصب الكبير الذي اقترن بمذابح جماعية بحق الشعب الأعزل في المدن والقرى وبتشريد الناس من أرضهم وبيوتهم إلى البلدان المجاورة، لا يزال طوال أكثر من ستة عقود وحتى يومنا هذا مستمرًا.

إنها من أهم مسائل المجتمع البشري. فالقادة السياسيون والعسكريون للكيان الصهيوني الغاصب لم يتورعوا عن ارتكاب أية جريمة، من قتل الناس وهدم بيوتهم ومزارعهم، إلى اعتقال

وتعذيب الرجال والنساء بل حتى الأطفال، مرورًا بالإساءة إلى كرامة هذا الشعب وازدرائه والسعي إلى إبادته وهضمه في المعدة المملوءة بالحرام للكيان الصهيوني، و إلى شنّ الهجوم على مخيماتهم في فلسطين نفسها وفي البلدان المجاورة التي تحتضن ملايين المشردين.

إن صبرا وشاتيلا وقانا وديرياسين وأمثالها أسماء قد سُجلت في تاريخ المنطقة بدم الشعب الفلسطيني المظلوم. واليوم ـ وبعد خمس وستين عامًا ـ لا تزال الذئاب الصهيونية الكاسرة ترتكب هذه الجرائم بحقّ مَنْ تبقّى في الأراضي المحتلة. إنهم باستمرار يرتكبون جريمة جديدة تلو أخرى، ويعرّضون المنطقة لأزمات جديدة.

وقد لا يمرّ يوم دون أن نسمع بخبر عن قتلٍ أو جرحٍ أو اعتقالٍ لشباب نهضوا للدفاع عن وطنهم وكرامتهم، ورفعوا صوتهم معترضين على إبادة مزارعهم ومنازلهم. إن الكيان الصهيوني الذي مارس عشرات السنين من الإرهاب والحرب والشرور بإشعاله نيران حروب مدمرة، وارتكابه مذابح جماعية، واحتلاله أراض عربية، وتنظيمه شبكات الإرهاب الحكومي في المنطقة والعالم، يطلق على الشعب الفلسطيني الذي نهض للمطالبة بحقّه وكافح من أجل ذلك صفة الإرهاب، وتُكرر الشبكات الإعلامية المرتبطة بالصهيونية وكثير من شبكات الإعلام الغربية المأجورة هذه الكذبة الكبيرة واضعة تحت القدم كل التزام أخلاقي ومِهَني. ورجال السياسة من

أدعياء حقوق الإنسان يغضون الطرف عن هذه الجرائم جميعها، ويتصدون للدفاع عن هذا الكيان الدموي، ويتخذون تجاهه موقف المحامي المدافع.

إننا نعلن أن فلسطين ملك للفلسطينيين، واستمرار احتلال هذه الأرض ظلم كبير لا يُطاق، وخطرداهم على السلام والأمن في العالم، وجميع الحلول التي اقترحها ونفذها الغربيون وأتباعهم من أجل «تسوية القضية الفلسطينية» كانت خاطئة وفاشلة، وستكون في المستقبل كذلك».

إنّ التعاون الدولي حين يقوم على هذا الأساس سيجعل الحكومات تقيم العلاقات بينها لا على أساس الخوف والتهديد والجشع والمصالح الأحادية، أو سمسرة الخونة المأجورين، و إنما على أساس المصالح السليمة المشتركة، بل وفوق ذلك على أساس مصالح الإنسانية، وبذلك يريح هؤلاء ضميرهم اليقظ و بالَ شعوبهم من كل هاجس.

هذا النظام المثالي يقع في النقطة المقابلة لنظام الهيمنة الذي تزعمته ودعت إليه قوى التسلط الغربية وتتزعمه اليوم الإدارة الأمريكية المتعنّتة المعتدية.

الإمام الخامنئي مخاطباً قمة عدم الانحياز

قمة عدم الانحياز

مشروع حل القضية الفلسطينية

خلافًا لما يشيعه الإعلام العالمي، ضمن مشروع إيران فوبيا الصهيوني، بشأن نية إيران سحق إسرائيل و إبادة اليهود، فإن الجمهورية الإسلامية الإيرانية تنطلق من مبادئها الدينية لتعلن أن المشكلة الفلسطينية ليست مشكلة صراع إسلامي ـ يهودي. هذه فرية من قائمة افتراءات وأكاذيب الصهاينة على الصعيد العالمي.

المسلمون كانوا دائمًا الحضن الآمن لليهود فبعد أن طُردوا من الأندلس حَمَتهم الدولة العثمانية والبلدان الإسلامية في الشمال الأفريقي، ووفرت لهم الملاذ الآمن.

وكان اليهود يعيشون مع المسلمين بسلام في جميع البلاد العربية والإسلامية حتى ظهرت الصهيونية فألّبت اليهود على المسلمين،، وتوجهت لاغتصاب أرض فلسطين المقدسة.

إن القضية الفلسطينية ليست قضية صراع ديني بل هي صراع الحق مع الباطل، وصراع الإنسانية مع أعداء الإنسانية. وفي جبهة الحق يقف المسلمون والمسيحيون بل واليهود، وكل ذوي الضمائر الحيّة، وفي جبهة الباطل يقف كل أعداء البشرية من الصهاينة والمسيحيين المتصهينين وطواغيت الأرض.

والغريب أن الغرب الذي يدافع اليوم عمّا يسّمى، زيفًا وكذبًا، بالسامية، إنما هو الذي ارتكب المجازر بحق اليهود، وطردهم وشرّدهم بسبب سلوكهم الشاذ وطبيعتهم الجشعة.

ومن هذا المنطلق الإسلامي يقدم السيد القائد اقتراح الجمهورية الإسلامية بشأن حل القضية الفلسطينية وفق أسس عادلة ديمقراطية متعقّلة منطقية يقول:

«إننا اقترحنا حلًا عادلًا وديمقراطيًا تمامًا وهو أن يشارك الفلسطينيون بأجمعهم، سواء الساكن فيها أو الذي يعيش في الشتات في البلدان الأخرى ومازال يحافظ على هويته، مسلمًا كان أو مسيحيًا أو من اليهود، يشاركون في استفتاء عام وبمراقبة دقيقة وموثوقة، ليختاروا النظام السياسي لبلدهم، بعد أن يعود جميع الفلسطينيين الذين تحملوا سنوات من عذاب التشريد إلى بلدهم، ليشاركوا في هذا الاستفتاء ثم في تدوين الدستوروالانتخابات. عندئذ سيستتب السلام.

إنني هنا أودّ أن أقدّم نصيحة خيرللساسة الأمريكيين الذين

ظهروا دائمًا على الساحة مدافعين وحماة للكيان الصهيوني، وأقول لهم: إن هذا الكيان قد تسبب لكم حتى الآن بأوجاع رأس لا تحصى. وجعلكم بين شعوب المنطقة مكروهين منفورين وشركاء في جرائم الصهاينة الغاصبين، وحمّل حكومتكم والشعب الأمريكي تكاليف مادية ومعنوية باهظة طوال السنوات المتمادية، وقد تزداد فاتورتكم في المستقبل إذا استمرالوضع على هذا المنوال. فتعالوا وفكروا في اقتراح الجمهورية الإسلامية بشأن الاستفتاء، وأنقذوا أنفسكم بقرارشجاع من هذه العُقدة العمياء الحالية. ولا شك أن شعوب المنطقة وكل أحرارالعالم سيرحّبون بهذا القرار».

إنّ التعاون الدولي حين يقوم على هذا الأساس سيجعل الحكومات تقيم العلاقات بينها لا على أساس الخوف والتهديد والجشع والمصالح الأحادية، أو سمسرة الخونة المأجورين، و إنما على أساس المصالح السليمة المشتركة، بل وفوق ذلك على أساس مصالح الإنسانية، وبذلك يريح هؤلاء ضميرهم اليقظ و بالَ شعوبهم من كل هاجس. هذا النظام المثالي يقع في النقطة المقابلة لنظام الهيمنة الذي تزعمته ودعت إليه قوى التسلط الغربية وتتزعمه اليوم الإدارة الأمريكية المتعنّتة المعتدية.

الإمام الخامنئي مخاطباً قمة عدم الانحياز

قمة عدم الانحياز

الدور التاريخي

الظـروف التـي يمـرّبهـا العـالم اليـوم استثنائية ..فهي من جهـة تشـهد تنـامي قوة الشعوب وارتفاع صـــوتها وتصـــاعد مقاومتها، ومن جهة أخـرى ثمـة قـوة كـبـرى انهـارت وتفتّتت، والقـوة الكـبـرى الأخـرى تواجه أزمات حادة قد تؤدي بها إلى الانهيار.

وثمة تكتلات جديدة بدأت تظهرعلى الساحة لتحل محلّ القوة التقليدية.

ثـم هنـاك تجربـة الجمهوريـة الإسـلامية فـي مواجهـة التحـديات العالمية، والصمود بل والتقدم المستمرعلى الطريق.

كل هذه الظواهرتبشّربمستقبل جديد للبشرية تسود فيه مبادئ العدالة والسلام.

مـن هنـا فـإن حركـة عـدم الانحيـازمرشـحة لأن تقـوم فـي هـذه الدورة من عمرها خاصة بدورتاريخي في إنقاذ العالم مما يعانيه من ظلم وطغيان.

وهذا يتطلب:

ـ التعاون الشامل

ـ الوفاء للإهداف

ـ عدم الركون إلى الظالمين

ـ الإيمان بالنصر الإلهي.

ـ الاهتمام بما تمرّبه القوى التقليدية من فشل وهزيمة.

ـ الاهتمام بتصاعد الإرادة الشعبية في بلداننا.

كل هذه المتطلبات تحتاج إلى إعداد وثيقة تاريخية بشأن:

ـ تطور طريقة إدارة العالم

ـ توفير آلية التنفيذ

ـ التعاون الاقتصادي الفاعل

ـ بلورة نماذج للعلاقات بين بلدان المنظومة.

ـ إنشاء أمانة عامة نشطة لأجهزة الحركة.

وكل هذه التطلعات يطرحها السيد القائد في ختام كلمته لقمة عدم الانحياز يقول:

«أعود إلى حديثي الأول، وأقول إنّ الظروف حساسة، والعالم في حالة اجتياز منعطف تاريخي مهم للغاية، ومن المتوقع أن يتمخض عن ولادة نظام جديد. إن مجموعة عدم الانحياز تضم أكثر من ثلثي دول العالم، وتستطيع أن تنهض بدور كبير في رسم المستقبل. وانعقاد هذه الدورة في طهران هو بذاته حدث ذو مغزى ينبغي أن يؤخذ بنظر الاعتبار في المحاسبات. ونحن أعضاء هذه الحركة نستطيع عبر التكامل في إمكاناتنا وطاقاتنا الواسعة أن ننهض بدور

تاريخي ودائم في إنقاذ العالم مما يعانيه من انعدام الأمن والهيمنة.

إنّ هذا الهدف لن يتحقق إلاّ بالتعاون الشامل فيما بيننا. فالبلدان التي تمتلك ثروات طائلة وكذلك البلدان ذات النفوذ العالمي ليست بقليلة بين أعضاء حركتنا، ومن الممكن تمامًا معالجة المشاكل بالتعاون الاقتصادي والإعلامي وتبادل التجارب التكاملية الرائدة.

يجب أن نزيد عزمنا رسوخًا وأن نبقى أوفياء لأهدافنا، وأن لا يساورنا خوف من زمجرة القوى المتغطرسة، وأن لا نعقد الأمل على ابتسامتهم، وأن نرى الإرادة الإلهية وقوانين الطبيعة سندًا لنا، وأن ننظر بعين العِبرة إلى فَشَل تجربة المعسكرالشيوعي قبل عقدين، وفشل سياسات ما يسمى بالليبرالية الديمقراطية الغربية حاليًا، وهو ما نرى معالمه في شوارع البلدان الأوربية والأمريكية وفي العُقَد الاقتصادية المستعصية لهذه البلدان. ثم أن ننظرإلى سقوط النظم الديكتاتورية المرتبطة بأمريكا والحليفة للكيان الصهيوني في شمال أفريقيا، و إلى الصحوة الإسلامية في بلدان المنطقة على أنها فرصة كبرى.

إننا نستطيع أن نفكربرفع مستوى «الفاعلية السياسية». لحركة عدم الانحيازفي إدارة شؤون العالم. نستطيع أن نُعدّ وثيقة تاريخية بشأن تطويرهذه الإدارة وأن نوفّرآليات تنفيذها؛ نستطيع أن نخطط لدفع الحركة نحو تعاون اقتصادي فاعل، ونشخّص نماذج للعلاقات الثقافية فيما بيننا. إن تشكيل أمانة عامة فعّالة نشطة لأجهزة الحركة من شأنها أن تكون دون شك عاملًا مساعدًا كبيرًا ومؤثرًا على تحقيق هذه الأهداف».

قمة عدم الانحياز

الغزو الفكري وأساليب المواجهة

محمد علي التسخيري *

إذا شئنا أن نستوعب كل المساحة الثقافية - من خلال المنظور الإنساني الإسلامي - فمن المحتّم القول بأنها تمتد إلى حيث تمتد التركيبة الإنسانية نفسها، وهذا يعني شمولها للجوانب الإنسانية الثلاثة التالية:

١ - الجانب التصوّري والعقائدي: بما يشمل كلّ المفاهيم التي يملكها الإنسان عن الكون والحياة والإنسان، وبالشكل الذي يتناول السنن التاريخية والقوانين الحاكمة كلّها.

٢ - الجانب الإحساسي العاطفي: بما يشمل الغرائز والميول الأصيلة والمعدّلة تبعاً للتربية الخاصة، وتكوين المصاديق المتعالية، كتحويل حبّ الذات الضيقة إلى حبٍّ للذات المتسعة الخالدة، من خلال الإيمان بالآخرة.

---

* - رئيس المجلس الأعلى للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

٣ - الجانب السلوكي العملي: وهو بطبيعة الحال يشمل كل موقف يتخذه الإنسان، حتى فيما بينه وبين نفسه، كما أنه متأثر بالجانبين السابقين تمام التأثر، وخصوصاً بالجانب الثاني، حيث فسّر المحللون النفسيون الإرادة الإنسانية بالشوق المؤكّد، بالرغم من أنَّ الشوق المؤكد هو المرحلة الأخيرة التي تسبق تصميم الإنسان على العمل - كما نعتقد - فإن الإنسان يبقى يمتلك الحرية في أحرج الضغوط العاطفية.

الترابط بين المساحات الثلاث

و إذا قبلنا هذه الحقيقة فعلينا أن نؤمن بالكل الثقافي المترابط، وأن نعتبرأي انفصال بين الأجزاء آنفة الذكرعملية مؤقتة، وأي قول بالفصل الدائم بين المساحات مجازفة يكذّبها الوجدان والنصوص الشريفة. كما أن هذا الإيمان والقبول يفتح أمامنا بابًا تربويًا و إعلاميًا واسعًا، ننفذ من خلاله إلى المقصود أولاً، ونكتشف أيضًا - عبره - التآمرالإعلامي على الوجود الثقافي ثانيًا.

و إذا تأمّلنا واقعنا الوجداني رأينا حقيقتين مهمتين:

الأولى: هذا الترابط المحكم بين أبعاد الكل الثقافي الإنساني بما يمكن أن يرجع كل الإنسان إلى المحورالواحد المسيطروهو النفس الإنسانية، فهي التي تتثقف في الواقع، و إن كانت المسارب أو المظاهرمتفاوتة.

الثانية: نتيجة لهذا الترابط وهذه الوحدة الوجدانية فإن أي تنافر بين جزئين منها يعد أمرًا طارئًا على التركيبة الطبيعية الإنسانية سرعان ما تتغلّب عليه لتحقيق الانسجام الكامل. ومن هنا نستطيع أن نفسر الكثير من النصوص القرآنية من قبيل:

قوله تعالى: ﴿أرأيت الذي يكذّب بالدين فذلك الذي يَدُعُّ اليتيم﴾.

وقوله تعالى: ﴿ثمَّ كانَ عاقبةَ الذين أساؤوا السّوأى أن كَذَّبوُا بآيات الله﴾.

وقوله تعالى: ﴿إليهِ يصعَدُ الكَلِمُ الطيب والعملُ الصالحُ يَرْفَعُه﴾.

... وغيرها من النصوص الشريفة.

وفي ضوء هاتين الحقيقتين، علينا أن نعالج ثقافتنا على كل الصُّعُد، ونلاحظ مدى النفوذ الغربي فيها.

العدو يستهدف كل الجوانب

ويبدو أن العدو - في حملته الثقافية - استهدف الجوانب الثلاثة بشكل عَرَضيّ وفي آن واحد، إدراكًا منه لهذا الترابط، وتحقيقًا لمهمته الرئيسة، وهي قتل الشخصية الإسلامية في وجود الفرد والأُمة، وبالتالي تحقيق الأرضية السهلة لعملية الاستغلال الكبرى.

فعلى الصعيد التصوري: عمل الإعلام الغربي - والأفضل أن نسميه بالإعلام الاستكباري العالمي - نظراً لطبيعته ودوافعه الحقيقية

الكامنة في طغيان الحيوانية والمادية في وجوده - على التغريب الثقافي عن العقيدة والتصورات الأصيلة مستغلاً فترات الجهل، والاتجاهات القشرية الخالية من روح الإسلام، والمركزة على جوانب جزئية عابرة، مكبرة إياها، وجاعلة هذه الجوانب هي محور الصراع وتضارب الآراء، عاملة - بالتالي - على نسيان التصورات الإسلامية التغييرية الكبرى، وترك الميدان الاجتماعي لكل المبادئ المدعية للعدالة والإصلاح، وهي في الواقع ضد ذلك.

ومن هنا رأينا اتجاه كثير من جيلنا الشاب نحو المبادئ التي احتلت زورًا موقع البطولة الثورية، والمطالبة بالقضاء على الظلم بعد أن أَخْلَت هذه الآراء القشرية ذهنية جيلنا المسلم من المبادئ الإسلامية، والإسلام هو دين الصراع ضد التفرعن والفراعنة والطغاة، وهو دين الجهاد المتواصل ضدّ أي نمط من أنماط الظلم والاستبداد والاستغلال.

ثم إن العدو، وتأكيدًا لعملية التغريب الآنفة، راح يزرع الشبهات تلو الشبهات في النفوس تجاه الإسلام عقيدةً ونظامًا، وتجاه إمكان تطبيق الإسلام، وهو دين المجتمع القبلي - كما يدعون - فكيف يمكن تطبيقه في مجتمع القرن العشرين؟!

ولم تكن الشبهات عادية و إنما هي تشمل الحقول الفلسفية والمنطقية، تمامًا كما تشمل الجوانب العملية. وهذه الشبهات عندما تصب في روح الشباب الفارغ فإنها تعصف برؤيته ومفاهيمه، و إذا تم

ذلك ضَمِن الاستكبار انحراف الإحساس فالعمل بلا ريب. و إذا تمهد السبيل للنفوذ الغربي جاء دور بث الفكر الالحادي المسموم لتحقيق المرحلة النهائية من العملية، ليصوغ الإنسان المسلم مبشراً للماركسية بقيمها الواطئة أو الرأسمالية بجشعها ولؤمها، وعلى أي حال؛ يغدو عدوًا للأمة وعميلاً للأجانب الأعداء.

وأما على الصعيد العاطفي: فإن خطته الخبيثة يمكن أن تتلخص بعمليتين:

الأولى: عملية إضعاف الروح الأخوية الإسلامية؛ روح إحساس المسلم أينما كان بألم المسلم الآخر، و إحلال الروح المحلية، والقطرية، والقومية، وحتى الوطنية الضيقة وغيرها.

أَمّا العملية الثانية فهي عملية توجيه العواطف والدوافع نحو المادية السلوكية، الأمر الذي يترك أثره على الجانبين العقائدي والعملي بكل قوة، فتتحول المادية العاطفية إلى مادية عقائدية.

وقد استغل الاستكبار الغربي كل الوسائل لتحقيق هذا الهدف وما زال يستخدمها حتى يومنا هذا في أرضنا الإسلامية، ونذكر منها: النماذج الخلقية المنحطّة، والمجلات والصحف الخليعة، والإذاعة المسموعة والمرئية، والسينما والمسارح، ومحلات الدعارة وبيوتها، والملاهي والمراقص، والحفلات الماجنة، ومعسكرات الشباب ومنظماته، و(البلاجات) والمسابح المشتركة والرياضة وتعاطي الخمور، والتشجيع على استهلاك وسائل التجميل، والتشجيع على

ارتكاب الجريمة، ودفع المجتمع نحو المخدرات واستغلال الإبداعات والأعمال الفنية لهذا الغرض. ومن تلك الفنون المستغَلَّة: أنواع الفنون التشكيلية والموسيقية واستغلال النتاجات الأدبية كالقصة والشعر، وتربية الشعب على تقليد الغرب الخليع في مختلف الشؤون كاللباس والسكن والسلوك، وفسح المجال للجمعيات والعناصر المندسة من: الصهاينة والبهائية والماسونية، ورواد نوادي الروتاري والملحدين، ليساعدوا في إذكاء نار الفساد، وترويج الأفلام الخلاعية عبر أجهزة (الفيديو)، و إشاعة عملية المراسلة غير النزيهة بين الجنسين، وتشجيع عمليات المقامرة في المقاهي العامة الكبيرة منها والصغيرة، وفي المسابقات الرياضية، وسباق الخيل من قبل المتفرجين، وغير ذلك الكثير الكثير من الأساليب الرخيصة. ونؤكد هنا أن الكثير من هذه الوسائل الإعلامية اكتسبت ضعتها من أهدافها الوضيعة لا من طبيعتها كوسائل إعلاميّة مجرّدة.

وبالتالي فعلى الصعيد العملي: كان هدفه المرحلي هو إبعاد النظام الإسلامي عن توجيه الحياة الإنسانية، و إحلال النظم الغربية المادية محله، بشكل كلي، أو في غالب الأحوال، وهنا أيضًا تنوّعت الأفكار التي مهّد بها لهذه العملية، فشملت:

ـ فكرة فصل الدين عن السياسة، وقصر الحياة الدينية على الشؤون الشخصية والعبادية، وترك الشؤون الاجتماعية للفكر التنظيمي الغربي.

- وترويج الاتجاه الليبرالي المتحرر من التقيّد بالتوجيهات الدينية.

- وتحبيذ العلمانية في الحكم بكلّ صراحة، أو بشيء دستوري يذكر الإسلام كدين للدولة تمويهًا، في حين يحجر عليه أن يصوغ مجمل الحياة الاجتماعية إلا بما لا يتعارض مع المصالح الغربية وما ينحصر في المسائل الشخصية الضيّقة.

وقد مهّدت لهذه الفكرة أفكار أخرى مخادعة من قبيل: فكرة تعقّد الحياة، ولزوم التطوير في كلّ مجالاتها، وعدم قدرة النظم الدينية على مواكبة هذا التطور، باعتبارها تؤمن بالمطلقات التشريعية، وهذه المطلقات لا تنسجم مع عملية التغيير المستمر، وكذلك فكرة التخويف من الحكومة الدينية، أو ما يسمونه بالاستبداد الديني، مذكّرين بما جرى في القرون الوسطى من الظلم الكنسي، وكيف وقفت الكنيسة إلى جانب الاقطاع المستبد، وأن هذا لا ينسجم مع الدولة الديمقراطية الحديثة، وغير ذلك من الأفكار التي مهدت - كما قلنا - للعلمانية، فإذا بنا نجد الأرض الإسلامية تضج من وجود الحكم العلماني المغلّف، دون أن يشعر أكثر الأفراد بمدى الجريمة التي ترتكب عبر ذلك.

والأنكى والأمرّ من ذلك، إن بعض الناس من عملاء الغرب ووسائله الإعلامية المحلية العميلة راحت تدعو لإعادة النظر في الإسلام نفسه!!

فهناك من يدّعي أن الإسلام قد استنفد أغراضه التاريخية.

وهناك من يرفع نداءه طارحًا فكرة (البروتستانتية الإسلامية).

وهناك من يطرح النظم الغربية أساسًا يجب أن يحوَّر الإسلام نفسه بحيث ينسجم معها، فتجد شيوع تعبيرات: (الديمقراطية الإسلامية، والاشتراكية الإسلامية.. الخ).

ولما لم يجد آذانًا صاغية راح بعض الأفراد يطرح الأفكار التلفيقية التي تأخذ من هذا ضغثًا ومن ذاك ضغثًا وتقدّمه على أساس أنه الإسلام المواكب لمسيرة التطور!!

وهذا القسم الأخير هو أشدّ الأقسام خطورة على جيلنا الإسلامي الناشئ. ونحن في إيران عانينا من كل الأفكار الماضية كثيرًا، إلا أن الاتجاه التلفيقي بشكله الغربي أو الشرقي كان يشكل العقبة الكأداء في عملية أسلمة الحياة الاجتماعية أسلمةً كاملة، لكن الثورة الإسلامية تخلصت من كل المنحرفين بعد أن تآمروا على كل المكاسب الإسلامية.

خطوط المواجهة الإعلامية للغزو الثقافي

ونستطيع أن نميّز - في مجال مواجهة الغزو الثقافي الآنف على الصعيد الثقافي والإعلامي - خطوطًا، أهمها خطان:

أولاً: الخط الإعلامي الثوري البنّاء

وقد امتاز هذا الخط بميّزات منها:

أ - وعيه للإسلام وعيًا نافذًا، و إدراكه العميق الأصيل لنظرته الحياتية التغييرية الشاملة.

ب - إدراكه لأبعاد الغزو الثقافي ومساربه ومظاهره.

جـ- تركيزه على محور المشكلة دون إهمال جوانبها وفروعها وتفصيلاتها، وبالتالي دعوته للتغيير الثوري والإصلاحي في آن واحد.

د - تقديمه الطروحات الإسلامية للجيل، وبعث حركة ثقافية جديدة.

هـ- تحريك الحس الإسلامي الحماسي المطلوب وعدم الاكتفاء بالتنظير الفكري الجاف، وهذا النوع هو الذي استطاع أن يقدّم خدمات جلّى على صعيد المواجهة وأن ينقذ الأمة من وهدتها.

ثانيًا: الخط الإعلامي السطحي

والذي تميّز بما يلي:

أ - بطرح الإسلام شعارًا برّاقًا، والتذكير بالأمجاد دونما عمل على تقديم الطروحات الحياتية.

ب - بتحبيذ الإصلاحات الجانبية وغضّ النظر عن الكثير منها خوفاً من الانفلات.

جـ- باتباع أسلوب المساومة السياسية مع الحكّام المرتبطين، مهما بلغ بهم الارتباط، والاكتفاء منهم ببعض الظواهر الكاذبة.

ولهذا نجد جماهيرنا المسلمة تمجّ هذا الأسلوب، وترفض التعامل

معه كإعلام إسلامي، ممّا أفقده تأثيره لا على صعيد المواجهة فحسب، بل وحتى على صعيد التأثير الجزئي، فلم يعد يحقق حتى ما يتوخى العملاء تحقيقه من تخدير وتغطية، وأمامنا تجارب حديثة جدًا، حاول فيها أمثال هؤلاء التمويه وتشويه الإرادة الإسلامية من خلال إعلام واسع الأبعاد وعلى الصعيد العالمي، فكذّبته الجماهير المسلمة وأسقطته من فوق عروشه العاجية.

الإعلام القرآني جوهر النهوض

و إذا أردنا أن ننهض في مجال الإعلام المواجه والمربّي في آن واحد، فليس لنا من سبيل إلاّ سبيل القرآن والدعوة القرآنية، إننا مسلمون قبل كل شيء، لنا تصوراتنا ونماذجنا الخاصة بنا، والمستقاة من خالق الكون العليم بما يصلحه، والقرآن هو نموذجنا الأسمى في شتى المجالات، فهو: «الكتاب المسطور، والنور الساطع، والضياء اللامع» وهو: «ناطق لا يعيى لسانه، وبيت لا تُهدم أركانه، وعزّ لا تُهزم أعوانه» وهو: «كتاب الله، تبصرون به وتنطقون به، وتسمعون به» فعلينا أن نعطف الرأي على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرأي، فهو: «البحر الذي لا يدرك قعره».

إنه كتاب التوعية، والتوعية في الإسلام تسبق أية خطوة أخرى، الإسلام دين التوعية والتربية، وهو بمقتضى واقعيته وفطريته يقرر لزوم أن ينفذ المرء إلى عمقه، إنه يعرض جوهرته الثمينة، لأنه يعلم أن

قيمته ستنكشف بكل وضوح للجميع، ولذا فهو يرفض أي تقليد من العقيدة ويدعو للبحث والبرهنة: ﴿قل هاتوا برهانكم﴾. وهو يرفض أية عملية إكراه عقائدي ﴿لا إكراه في الدين﴾، كما يريد من الأمة أن تكون من أولي الأيدي والأبصار، قوية ببصرها وبصيرتها.

وفي مجال التعامل مع الآخرين يأمر الإسلام بالدعوة البيّنة الواضحة قبل كل شيء. يقول القرآن الكريم:

﴿ادعُ إلى سبيل ربّكَ بالحكمة والموعظةِ الحسنَةِ وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربَّكَ هو أعلمُ بمن ضلَّ عن سبيله وهو أعلَمُ بالمهتَدِين﴾.

﴿فلذلِكَ فادعُ واستقِم كما أُمِرت ولا تتّبع أهواءَهُم﴾.

﴿ومن أحسنُ قولاً ممَّن دعَا إلى الله وعَمِل صالِحاً وقال إنّني من المسلمين﴾.

﴿قل هذهِ سَبيلي أدعو إلى الله على بصيرةٍ أنا ومن اتّبعني وسبحانَ اللهِ وما أَنَا من المُشركين﴾.

وفي هذا يقول آية الله السيّد الصدر في كتابه (اقتصادنا).

«والأمر الآخر: أن يبدأ الدعاة الإسلاميون - قبل كلّ شيء - بالاعلان عن رسالتهم الإسلامية، و إيضاح معالمها الرئيسية، معزّزة بالحجج والبراهين، حتى إذا تمت للإسلام حجّته، ولم يبقَ للآخرين مجالٌ للنقاش المنطقي السليم، وظلوا بالرغم من ذلك مصرين على رفض النور، عند ذلك لا يوجد أمام الدعوة الإسلامية - بِصِفَتها

دعوة عالمية تتبنى المصالح الحقيقية للإنسانية - إلا أن تشق طريقها بالقوى المادية، بالجهاد المسلّح».

وقد جاء في كتاب «الكافي» للمرحوم الكليني عن الصادق (عليه السلام) قوله: «وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): بعثني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى اليمن، فقال: يا علي لا تقاتلنّ أحدًا حتى تدعوه إلى الإسلام، وأيم الله لئن يهد الله عزّوجلّ على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت، ولك ولاؤه يا علي».

إنه أسلوب القرآن قبل كل شيء، الذي علّمه الله سبحانه لموسى وهارون عليه السلام: ﴿اذهبا إلى فرعون إنَّهُ طغى فقولا له قولاً ليناً لَعلَّه يتذكّر أو يخشى﴾.

إنها الدعوة - حتى عند مواجهة الطواغيت - عسى أن يهتدوا إلى الحق.

وها نحن نجد الرسول العظيم يكرر عبارة: «أدعوك بدعاية الإسلام» في رسالته إلى كسرى أنوشيروان، وقيصر إمبراطور الروم، تطبيقًا لهذا التعليم الإسلامي السامي. وهكذا راح الدعاة يبثون الدَّعوة إلى الأقطار. وقد ذكرت أسماء بعض الدعاة الأوائل الذين أُرسلوا لتحقيق واجب الدعوة إلى الله، ومنهم:

- عبد الله بن حذافة السهمي : مبعوث الرسول إلى إيران.
- حاطب بن أبي بلتعة : مبعوث الرسول إلى مصر لدعوة المقوقس.

- دحية الكلبي : مبعوث الرسول إلى روما.

- عمرو بن أمية : مبعوث الرسول إلى اليمامة.

- حرملة بن زيد : مع وفد معه إلى مدينة (أيلة) الواقعة على ساحل البحر الأحمر.

- المهاجر بن أبي أمية : مبعوث الرسول إلى همدان.

- علي بن أبي طالب عليه السلام : مبعوثه الثاني إلى هذه المدينة.

- حذيفة بن اليمان : مبعوث الرسول إلى الهند.

- عبد الله بن عوسجة : مبعوث الرسول إلى قبيلة حارثة بن قريظ.

- جرير بن عبد الله البجلي : مبعوث الرسول إلى قبائل ذي الكلاع الحميري.

... وغيرهم ممن حمل مهمة الدعوة إلى الشعوب.

و إذا أردنا أن نجد التطبيقات السياسية لهذا الأصل في التعامل الدولي، امكننا أن نلحظها في الوفود والبعثات السياسية المرسلة من هنا إلى هناك، وفي أساليب توضيح الحقيقة عبر الوسائل السمعية والبصرية، وفي مذكرات الإيضاح الموجهة، والمذكرات التفسيرية المقدمة إلى المؤتمرات الدولية.

وما تتميز به العلاقات الدولية الإسلامية: إنها تنظر لعملية التوعية والإيضاح - كرسالة إلهية ومبدأ ضروري - يجب الالتزام به لا أن يتم اعتماد هذه السياسة ، باعتبارها مناورة سياسية، تنقلب بعدها الحقائق وتتغير الموازين متى ما تطلب الأمر ذلك.

قمة عدم الانحياز

حداثة مستقلة

زكي الميلاد *

حينما دُعي محمد أركون للمشاركة في برنامج أكاديمية العلوم الأخلاقية والسياسية في باريس سنة ١٩٨٩م، للحديث عن الأصول الإسلامية لحقوق الإنسان، المحاضرة التي شعر فيها أركون بشيء من الرهبة كما وصف حاله، وهو يفتتح الحديث في هذه المؤسسة العريقة، وأمام حضور الأقطاب الكبار على حدّ قوله. وما إن انتهى أركون من محاضرته حتى انبرى له المستشرق الفرنسي أرنالديز، وكان المختص الوحيد في الإسلاميات من بين الموجودين، وقال موجهاً كلامه لأركون: سأدافع ولو للحظة عن كل أولئك الفقهاء والعلماء والمفسرين الذين طالما درستهم وعاشرت نصوصهم، سوف أذكّر محمد أركون بأن هؤلاء الفقهاء كانوا نشطين جداً، وأنهم حرّكوا النصوص القرآنية وأنعشوها بتفاسيرهم، إلى درجة أنه يصعب علينا اليوم، حتى باسم العلوم الإنسانية العزيزة جداً عليك يا سيد أركون، أن نجد فيها شيئاً آخر جديداً غير الذي وجدوه.

---

* - باحث من المملكة العربية السعودية، رئيس تحرير مجلة "الكلمة".

وحين أراد محمد أركون أن يوجه خطاباً نقدياً للمثقفين العرب والمسلمين، مبرهناً لهم عن مدى التقلص والافتقار الذي أصاب الساحة الثقافية العربية والإسلامية، وكيف أن العلماء في القرون السابقة قدموا أعمالاً في مختلف العلوم، لم يرتق إلى مستواها العلمي ما يقدم في تلك العلوم اليوم، وذلك في المداخلة التي شارك بها في المؤتمر الذي عقدته جامعة نيس الفرنسية سنة ١٩٨٦م، وكان بعنوان (المثقفون والمناضلون السياسيون في العالم الإسلامي)، وحملت مداخلة أركون عنوان (بعض مهام المثقف المسلم) حيث قال فيها: إذا تفحصنا عناوين الكتب التي نشرت في اللغة العربية، وجدنا شبه غياب كامل لأي كتاب في علم الأخلاق من مستوى كتاب مسكويه (تهذيب الأخلاق)، ولاحظنا شبه غياب كامل لأي كتاب في علم اللاهوت أو الكلام من مستوى كتاب (المغني) للقاضي عبد الجبار، أو من مستوى (مقالات الإسلاميين) للأشعري، ولاحظنا شبه غياب كامل لأي كتاب في فلسفة القانون من مستوى كتاب (الموافقات) للشاطبي، ولاحظنا شبه غياب كامل لكتب في الفلسفة من مستوى كتب الفارابي أو ابن سينا أو ابن رشد، ولاحظنا انعداماً مماثلاً لكتاب في علم الأجناس والجغرافيا من مستوى كتاب البيروني في وصف الهند، ولاحظنا الشيء نفسه

فيما يخص النقد التاريخي، فليس هناك أي كتاب يرقى إلى مستوى مقدمة ابن خلدون. وفي مجال التفسيروالدراسات القرآنية، أين هي الكتب التي ترتفع إلى مستوى التفسيرالقرآني النقدي والشمولي الذي أنجزه فخرالدين الرازي؟

وما يريد أركون أن يصل إليه من هذا الكلام، هوأن هذه الأمثلة التي يصفها بالكلاسيكية للفكرالعربي الإسلامي، إنما تقدّم مثالاً ناصعاً على النظرة الثقافية التي ينبغي أن يتحلى بها حسب رأيه كل مثقف، من أجل تحليل معنى ممارسات البشروفكرهم. ومن ثم يتساءل أركون: لماذا انعدمت هذه النظرة النقدية والاستكشافية والمستقلة، أو كادت تنعدم في الظروف الحالية.

وعندما زارالدكتورمحمد شوقي الفنجري، أستاذ مادة الاقتصاد بجامعة القاهرة، السيد محمد باقرالصدرفي بيته بمدينة النجف العراقية، بادره أولاً بالسؤال في أي جامعة من جامعات العالم تلقيت دراستك؟ فأجابه السيد الصدر: بأنه لم يدرس في أي جامعة من جامعات العالم، لافي العراق ولافي خارجه، وإنما في مساجد النجف، وهي أمكنة الدراسة في تعليم الحوزة العلمية. فردّ عليه الدكتورالفنجري إن مساجد النجف أفضل من جامعات أوروبا.

وحينما عاد الدكتورالفنجري إلى القاهرة، عرض على الدكتور زكي نجيب محمود ترجمة كتاب (الأسس المنطقية للاستقراء)

للسيد الصدرإلى اللغة الإنكليزية، واتصل بروجيه غارودي في فرنسا، وطلب منه الاتصال بالسيد الصدر، وأعطاه كتابين من أبرز مؤلفاته السيد الصدر، وهما كتاب (فلسفتنا) وكتاب (اقتصادنا).

أردت من هذه النماذج والشهادات، أن تكون أكثربياناً وبلاغة وصدقية من الأفكار، في التعبيرعن حقيقة ينبغي الالتفات إليها، والتأمل العميق فيها، وهي أن العلماء المتعمقين في العلم كانوا دائماً أكثرجدية من المثقفين في التعامل مع المعرفة، وفي استنباط المعارف والعلوم، وهم أيضاً وهذا هوالمهم الأقدرعلى إنتاج حداثة مستقلة. الحداثة التي يمكن اعتبارها على أنها حداثة المسلمين، التي تحدد لهم رؤيتهم لأنفسهم، والى العالم، وتحدد لهم طريق المستقبل، وبناء التقدّم في هذا العصر.

إنّ الأهداف الأساسية لحركة عدم الانحيازمثل مكافحة الاستعماروتحقيق الاستقلال السياسي والاقتصادي والثقافي، وعدم التبعية لأي قطب من أقطاب السلطة، ورفع مستوى التضامن والتعاون بين البلدان الأعضاء لاتزال اليوم ـ رغم مضيّ ستة عقود ـ حيّة راسخة.

الإمام الخامنئي مخاطباً قمة عدم الانحياز

قمة عدم الانحياز

استشراف المستقبل.. تفكك الإمبراطورية الصهيونية الأنغلوأميركية*

عرض-أمل عيتاني

يحاول **ماثياس شانغ** الذي كان المستشارالسياسي لرئيس الوزراء الماليزي السابق **محاضيرمحمد** من خلال استقرائه للمعطيات السياسية والأدلة التاريخية أن يستشرف المستقبل **فيرى قرب تفكك وانهيارالإمبراطورية الصهيونية الأنغلوأميركية القائمة على اقتصاد الحرب ونهب الشعوب رغم كل مظاهرالقوة العسكرية والاقتصادية التي تبدو عليها حاليًا.**

إلا أن هذا الانهيارلن يكون هادئًا برأيه، بل سيكون القرن الحادي والعشرون القرن الأكثردموية في تاريخ البشرية حيث سيشهد إعادة ترسيم للخريطة العالمية، **وستتوج عشرياته بانهيارآخر الإمبراطوريات العالمية.**

في ما يقارب الثلاثمائة وستين صفحة من القطع المتوسط، يقدم مؤلف كتاب "*تفكك الإمبراطورية الصهيونية الأنغلوأميركية:*

---

* - عدد الصفحات: ٣٦٠، المؤلف: ماثياس شانغ، الناشر: ثنكرز ليبراري ، الطبعة: الثانية/٢٠٠٥ .

استشراف المستقبل"، مئات الأدلة والاستشهادات التي تدعم رأيه بأن هذه الإمبراطورية ستكون الإمبراطورية العالمية الأخيرة وأن العالم سوف يشهد زوالها إن لم يكن في العام ٢٠١٥ من هذا القرن فحتمًا في العام ٢٠٢٠.

والكاتب الذي قضى تسعًا وعشرين عامًا في مهنة المحاماة وتولى منصب المستشار السياسي لرئيس الوزراء الماليزي محاضير محمد، لا يدعي أنه يقدم نظرية فلسفية، بل يبني آراءه على تحليل المعلومات والمادة الإعلامية والوقائع التاريخية وتصريحات المسؤولين في كل من الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا والكيان الصهيوني.

نمورالورق على طريق الانهيار

«مع أن الإمبراطورية الأميركية ما زالت قوية ولم تسقط بعد، فإنها ستسقط في يوم من الأيام حتى لو كانت تمتلك السلاح النووي لأنها ليست سوى نمرمن ورق».

ينقسم الكتاب إلى مقدمة وخمسة أجزاء تضم ٢١ فصلاً، ويقول كاتبه إنه يهدف من ورائه إلى شرح و إثبات أن الإمبراطورية الأنغلوأميركية الصهيونية في طريقها إلى التفكك والانهيار، مؤكدًا أن وقوع الحرب النووية أمرمحتوم.

ويشرح كيف أن الكيان الصهيوني هو المحورالأساسي في الحروب النووية المقبلة، ويخلص في نهاية كتابه إلى القول إن القرن

الحادي والعشرين سوف يشهد نهاية الإمبراطورية الرأسمالية، كما سيشهد أيضًا إعادة ترسيم الخريطة العالمية، حيث سيكون هذا القرن ـ حسب رأي المؤلف ـ القرن الأعنف في تاريخ البشرية، إذ إن العدو المختبئ المتمثل بالإمبراطورية المذكورة لن يختفي من الوجود بهدوء.

يقول المؤلف إن أميركا بلد يعيش على الحرب، حيث إن حكوماته المتعاقبة ارتكبت سلاسل متصلة من الجرائم بحق الإنسانية، مخالفة كل شرائع حقوق الإنسان، ومخالفة للروح التي قامت على أساسها الولايات المتحدة نفسها، حين أعلنت استقلالها ودستورها.

ولكنه يرى مع ذلك أن كل استعراض القوة الذي تقوم به الولايات المتحدة الأميركية وكل الحروب التي خاضتها في العالم، ليست سوى نذير على قرب انهيارها، ويستشهد بقول الزعيم الصيني **ماوتسي تونغ** إن كل الدول الرجعية ذات القوة الذائعة الصيت ومنها الولايات المتحدة الأميركية ليست سوى نمور من ورق، والسبب أن هناك حالة طلاق بينها وبين شعوبها.

ومع أن الإمبراطورية الأميركية ما زالت قوية ولم تسقط بعد، فإنها ستسقط في يوم من الأيام حتى لو كانت تمتلك السلاح النووي، لأنها ليست سوى نمر من ورق.

ويستشهد الكاتب بمقولة **نعوم تشومسكي** للدفاع عن فكرة كون الولايات المتحدة الأميركية بلدًا رجعيًا، إذ يقول تشومسكي إن ٨٠٪ من الاستفتاءات في أوروبا تشير إلى أن الولايات المتحدة

الأميركية تشكل الخطرالأكبرعلى السلام العالمي، و إن الكثير من الناس حول العالم يرون أن جورج بوش يشكل تهديدًا على السلام العالمي فاق به تهديد الرئيس العراقي المخلوع صدام حسين حين كان في السلطة.

ويخلص من خلال تحليل الأوضاع الاقتصادية والسياسية في الولايات المتحدة الأميركية إلى القول إن كل ما نراه من قوة ومن حروب تقوم بها الإمبراطورية الصهيونية الأنغلوأميركية ليست سوى محاولات أخيرة تسعى إلى تطويل ساعات الاحتضارالتي تعانيها قبل أن تلفظ أنفاسها الأخيرة.

اقتصاد الحرب ضرورة لتعويض الإفلاس

«لانهيارالاقتصادي يدفع أميركا إلى اعتماد اقتصاد الحرب، مما يستوجب اختراع أسباب لغزوالأمم والتي منها ما نشهده اليوم من دعاوى نشرالديمقراطية والقضاء على الإرهاب» .

ويدخل الكاتب في تحليل الوقائع ليثبت وجهة نظره للقارئ، فيتحدث عن الانهيارالاقتصادي الذي تعاني منه الولايات المتحدة بلسان الخبراء الاقتصاديين ومسؤولي الإدارة الأميركية.

وينقل تصريحًا نشرته صحيفة غارديان البريطانية للخبير الاقتصادي الأميركي **آلان فرام** يوم ١٨ نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠٠٤ مفاده أن الدَين الأميركي وصل إلى سقف ٨٠٠ بليون دولار، وبالتالي فإن حجم الدين الأميركي ازداد ٢,٢٣تريليون دولارعما كان عليه

حين تسلم جورج بوش الابن زمام الرئاسة عام ٢٠٠١.

وأن الحكومة الأميركية تسدد دينها من حسابات التقاعد التي توفرها دائرة الخدمات الاجتماعية للمواطنين، مما يعني ـ حسب رأي الكاتب ـ أن الإدارة الأميركية قد قامت بسرقة ونهب هذه الدائرة.

ويقول **لورنس كولتيكوف** رئيس قسم الدراسات الاقتصادية في جامعة بوسطن «يجب أن تكون هناك زيادة فورية بنسبة ٧٨٪ على الضرائب الفدرالية حتى نتمكن من تغطية العجز في خزينة الدولة».

كما يستشهد الكاتب بمقولة مارتين ولف مؤلف وناشر «Dow Theory Letters» الذي يقول «عندما يتراكم دَينًا بهذا الحجم، فإن أحدًا ما عليه أن يسدده، وقد بدأ حزب رعاية ودعم الدَين الأميركي يتلاشى ببطء».

كما يشير الكاتب إلى قيام الحكومة الأميركية بالمقامرة بالاحتياطي المالي، مما سوف يسبب حسب رأي الخبراء ليس فقط انهيار الاقتصاد الأميركي بل والعالمي أيضًا.

ويستشهد الكاتب في هذا المقام أيضًا بمقال **لمارتين وولف** كبير المحررين والمعلقين الاقتصاديين في فايننشال تايمز حيث يقول «إن الولايات المتحدة الأميركية تسير حاليًا في الممر المريح نحو الخراب، فقد تم جرّها إلى طريق ترتفع فيها بشكل مضطرد أعمدة الديون الداخلية والخارجية مما يتسبب بتقويض مصداقيتها والدور العالمي الذي تلعبه عملتها».

«أميركا التي تحمل لواء نشر الديمقراطية ترعى الدكتاتوريات

في العالم، هذا بالإضافة إلى كونها تلعب دورًا بارزًا في إمبراطورية المخدرات والجريمة وغسيل الأموال».

ومن ناحية أخرى فإن المصارف الأميركية بدأت تسحب دعمها للدولار الأميركي خاصة بعدما قامت بطبع كميات هائلة من الدولارات دون أن تكون لها تغطية، وحسب رأي مدير صندوق النقد العالمي رودريغو دي لاتو (Rodrigo de Lato) فإن عدم التوازن القائم والناتج عن ازدياد الدَين الأميركي لا يهدد اقتصاد الولايات المتحدة فحسب، بل يهدد الاقتصاد العالمي أيضًا.

ويضيف دولاتو «نحن مفلسون، وأعتبر أن كلا من بوش وكيري تصرفا بعدم مسؤولية حين غيّبا هذا الموضوع عن أجندتهما».

وبناء على ما ذكره المؤلف من معلومات فإنه يرى أن هذا الانهيار الاقتصادي هو الذي يدفع الولايات المتحدة إلى اعتماد اقتصاد الحرب. واقتصاد الحرب هذا يستوجب اختراع أسباب لغزو الأمم، منها ما نشهده اليوم من دعاوى نشر الديمقراطية، والقضاء على الإرهاب الذي يرى فيه الكاتب أداة حربية.

ويثبت بالأدلة بعد ذلك أن الولايات المتحدة التي توعّد رئيسها بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر/أيلول بالقضاء على الإرهاب ومحاربة الدول المارقة ممن سماها محور الشر (إيران، العراق، كوريا الشمالية) ونزع سلاحها النووي، هي (أي الولايات المتحدة) التي زودت العراق بالمواد الأولية للأسلحة النووية والبيولوجية.

هذا من ناحية ويثبت الكاتب من ناحية أخرى أن أميركا التي

تحمل لواء نشر الديمقراطية هي التي كانت راعية للدكتاتوريات في العالم بحجة مواجهة المد السوفياتي، هذا بالإضافة إلى كونها تلعب دورًا بارزًا في إمبراطورية المخدرات والجريمة وغسيل الأموال، التي يرى الكاتب أنها إمبراطورية عالمية قائمة بحد ذاتها.

ويخلص إلى القول إن أميركا والحلف الصهيوني الأنغلوأميركي يبحث دائمًا عن وحش لمحاربته، وبعد انهيار الإمبراطورية السوفياتية صار التطرف الإسلامي الوحش الجديد الذي تجب محاربته، خاصة وأن الدول العربية والإسلامية تعوم على بحر من النفط.

ثلاثة أضلاع لمثلث واحد

«الحكومة الأميركية قامرت بالاحتياطي المالي، مما سوف يسبب حسب رأي الخبراء ليس فقط انهيار الاقتصاد الأميركي بل والعالمي أيضا» .

ويحلل الكاتب بعد ذلك الرابط بين الصهيونية والولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا، فيرى أنها أضلاع لمثلث واحد. فبرأيه إن الولايات المتحدة ذات الاقتصاد القائم على الحرب بحاجة إلى إشعال الحروب والتوسع للبقاء على قيد الحياة، في حين أن بريطانيا ما زالت تحمل أطماعًا استعمارية توسعية خاصة بعد انحسار رقعة الدول التي كانت تستعمرها، وبالتالي فإن أطماعها هذه تدفعها إلى التحالف مع أميركا لتحقيق ما تصبو إليه، في حين أن الصهيونية تصبو بدورها إلى بناء إمبراطوريتها في العالم.

ويرى أن أضلاع المثلث الثلاثة تحكمها الصهيونية، فالصهيونية الأميركية هي العضلة أو ذراع التنفيذ، في حين أن الكيان الصهيوني هو المحرك، فيما ترفد بريطانيا المثلث بالمال وتشكل عقله المدبر.

ويتعمق الكاتب في شرح كيفية تكون هذا المثلث، متحدثًا عن الأوجه العقدية والعسكرية لهذا البناء المحكم، وهنا يغرق في استشهادات تاريخية طويلة لم يأت فيها بجديد، فجاء هذا الجزء من الكتاب مستطردًا استطرادًا مملاً بسبب كون المعلومات متوفرة في الكثير من المصادر السياسية والتاريخية والأيديولوجية وغيرها.

كما يتحدث عن وجود حكومة ظل هي التي ترسم السياسات والخطط في العالم، ويتابع الخيوط الصيهونية فيتحدث عن حجر الأساس في بناء الإمبراطورية الصهيونية، ويرى أنها قامت على أساسين، أولهما إنشاء دولة إسرائيل، والثاني السيطرة المالية على الولايات المتحدة الأميركية وذلك عبر تأسيس الإمبراطورية الاقتصادية المتمثلة بنظام الاحتياط الفدرالي.

ومن ناحية أخرى يتطرق الكاتب إلى الدعاية التي تقرع بها الإمبراطورية المذكورة طبول الحرب، فيرى أنها مبنية على اعتبار الديمقراطية عدوة التبعية الاستعمارية، وأن التعبئة الاستعمارية لا تمكن متابعتها إلا من خلال الحرب الاقتصادية، وأن القيم والشعارات النبيلة ستستخدم دائمًا كذريعة لتبرير الحروب.

القرن الحادي والعشرون

«خريطة العالم ستتغير بشكل جذري بسبب الحروب التي

ستقوم بها الإمبراطورية الصهيونية الأنغلوأميركية من أجل السيطرة على الموارد الطبيعية في العالم» .

ويخلص الكاتب في نهاية كتابه إلى القول بأن خريطة العالم في القرن الحادي والعشرين سوف تتغير بشكل جذري، بسبب الحروب التي ستقوم بها الإمبراطورية الصهيونية الأنغلوأميركية من أجل السيطرة على الموارد الطبيعية في العالم في محاولتها التعويض عن الانهيار الاقتصادي الذي تعانيه.

ويذكر أن هذا ما صرح به **بول ولفويتز** حين قال «ليس لدينا خيار في الحرب على العراق، إنه يعوم على بحر من النفط»، فيرى أنه بهذه العقلية ستقوم الإمبراطورية بغزو العالم ومحاولة السيطرة عليه.

ويتحدث أيضًا عن تقهقر هذه الإمبراطورية بفعل تضافر وبروز قوى جديدة في العالم تعيد التوازن إليه، ويشجع بعضها بعضًا على التماسك، وهذه القوى سوف تبدأ من منطلقات قارية، حيث هناك أوروبا القديمة التي تضرها السيطرة الأنغلوأميركية الصهيونية على العالم، وتسيء إلى مصالحها.

ويرى أنه في هذه الحالة ستكون أوروبا القديمة الأخ الأكبر للدول الكبرى مثل الصين واليابان وغيرهما من الدول الآسيوية ذات القوة الاقتصادية، والتي إذا ما تماسكت مع بعضها في وجه الغزو الإمبريالي فإنها ستشجع دولا غيرها في قارات أخرى، أولها الدول الأميركية، على الوقوف في وجه الإمبراطورية الصهيونية الأنغلوأميركية ومحاصرتها، مما سيؤدي إلى تقهقرها وانهيارها التام

في عشرينيات القرن الحادي والعشرين على أبعد تقدير.

وتشكل المنهجية الاستنتاجية في هذا الجزء من الكتاب أحد نقاط ضعفه إذ لم يستطع الكاتب أن يشرح كيف ستستطيع أوروبا القديمة أن تنهض بدون أعظم جناح فيها وهو بريطانيا التي تشكل ــ حسب رأيه ــ جزءًا من أضلاع مثلث الإمبراطورية الصهيونية الأنغلوأميركية.

كما لم يستطع أن يقدم شرحًا منطقيًا لكيفية تخطي العقبات الاقتصادية التي تواجهها الدول الأوروبية حاليًا، أو يشرح كيف سيكون بإمكان القوة الاقتصادية التي تتمتع بها كل من الصين واليابان أن تقف وحدها في وجه إمبراطورية بالشراسة والقوة التي تحدث عنها.

كما أغفل الكاتب الحديث عن الهزات التي يمكن أن يتعرض لها الاقتصاد الآسيوي، خاصة وأن دولاً آسيوية كبرى مثل ماليزيا و إندونيسيا لها تجارب مريرة في هذا المجال، إذ استطاع شخص واحد «جورج سوروس» أن يهز اقتصاد ماليزيا سابقًا من خلال مضارباته في سوق النقد الماليزي، مما أثبت حينها أن هذه الدول هي "نموراقتصادية من ورق".

أخيرًا وليس آخرًا لم يستطع الكاتب أن يبين كيف يمكن لدول القارة الأميركية أن تتضامن مع بعضها بعضًا وتقف في وجه الولايات المتحدة الأميركية على الرغم من إقراره في مواطن أخرى من الكتاب أن الأنظمة التي تحكم «جمهوريات الموز» هي صنيعة الإدارة الأميركية نفسها!

قمة عدم الانحياز

أسئلة الهوية والدفاع عن الهوية

عبدالوهاب المسيري *

كي نفهم قضية الهوية حق الفهم لابد أن ندرك أننا لا نتلقى الواقع في موضوعية سلبية تكتفي بالرصد والتسجيل، فالعقل الإنساني، عقل توليدي يبقى ويضخم ويهمّش ويضيف ويحذف، وتتم عملية الإبقاء والاستبعاد والتضخيم والتهميش والإضافة والحذف حسب نموذج إدراكي يشكل هوية الإنسان، وهو في صميمه رؤية للكون.

فهوية شعب ما تتشكل عبر مئات السنين من خلال تفاعله مع الطبيعة وبيئته الجغرافية ومع بني جلدته ومع الشعوب الأخرى.

ولأن أعضاء هذا الشعب لا يعكسون الواقع كما هو، وإنما يتفاعلون معه (فعقولهم التوليدية تبقى وتستبعد وتضخّم وتهمّش)، فإن هويتهم تتشكل من خلال إدراكهم لما حولهم، ومن خلال تطلعاتهم ورؤاهم وذكرياتهم، فهي ليست مجرد انعكاس بسيط لبيئتهم. ومن هنا تكتسب الهوية فرادتها وتركيبيتها التي لا يمكن ردها إلى قانون أو نمط مادي.

---

* - باحث مصري راحل ورجل المقاومة الثقافية.

ولكن عادة ما ينطلق الكثيرون من الرؤية المادية التي يسمونها "علمية"، فيدرسون الهوية في إطار النموذج المادي كما يفعل كثير من الدارسين في الغرب. واستخدام النموذج المادي، يعنى استخدام الحواس الخمس، كما يعني دراسة الظواهر الإنسانية كما تدرس الظواهر الطبيعية. ومثل هذا المنهج يودي بالهوية تمامًا، لأنه لا يتعامل مع الواقع إلا من خلال معايير مادية، وهي معايير عاجزة بطبيعتها عن رصد الهوية في كل تركيبيتها وفرادتها. وقد أدى هذا المنهج إلى تعريف الإنسان باعتباره "الإنسان الطبيعي"، بمعنى أنه إنسان يتسم بسمات عامة "أضيفت" إليها الحضارة، أي أنها ليست أصيلة فيه. وبذلك تتحول الهوية إلى مسألة مضافة آليًا، مجرد زخرفة، وهكذا يصبح المشروع الإنساني هو العودة إلى الإنسان الطبيعي، متجاوزين الزخارف الإضافية.

وهذه الفكرة عبرت عن نفسها في فكر حركة الاستنارة الغربية (التي نصفها بأنها عقلانية مادية) كما تعبر عن نفسها فكر العولمة، فالعولمة هي في جوهرها العودة إلى هذا الإنسان الطبيعي، الذي لا يعرف الحدود أو الهوية أو الخصوصية، وليس عنده أي إدراك أو اكتراث بالقيم الأخلاقية والمعنوية مثل الكرامة والارتباط بالأرض والوطن والتضحية.

ولذا نجد أن خطاب العولمة يتحدث عن حرية انتقال السلع ورأس المال، والشركات عابرة القارات وحدود الدول، ولا يذكر شيئًا عن الثقافات أو الهويات المختلفة.

وحيث أن الإنسان الطبيعي هو ذاته الإنسان الاقتصادي، لذا فكل مطالبه وتطلعاته تظل داخل السقف المادي، وتظل الخلافات التي تنشأ بين الدول هي خلافات اقتصادية عامة، يمكن التفاهم بشأنها وحلها داخل الإطار الاقتصادي المادي.

ونتيجة لهذا الفهم المادي المعاصر نجد أن الإدراك الغربي (والإدراك الذي ساد في العالم العربي) للهوية يتأرجح بين نقطتين ماديتين متناقضتين:

الأولى نقطة صلبة تقوم على ثنائية قطبية حادة (أنا في مقابل الآخر) كما فعل النازيون والصهاينة في الغرب، وبعض السلفيين والقوميين المتعصبين وبعض دعاة القومية العربية، بعض الوقت.

أما الثانية فهي نقطة سائلة تذوب فيها الحدود والهويات، كما هو الحال الآن في إطار النظام العالمي الجديد.

وأقترح أن ننظر إلى الهوية باعتبارها صورة مجازية لا جوهرًا صلبًا ثابتًا، وأطرح فكرة الإنسانية المشتركة بدلا من فكرة الإنسانية الواحدة التي يطرحونها في الغرب.

فالإنسانية المشتركة تذهب إلى أن كل البشر داخلهم إمكانيات لا تتحقق إلا داخل الزمان والمكان، وهي في تحقّقها تكتسب قسمات وهوية محددة! فالإمكانية الإنسانية الكامنة حينما تتحقق في الزمان والمكان الصيني، فإنها تثمر الإنسان الصيني والإنسانية الصينية، و إن تحققت في الزمان والمكان الغربيَين، أثمرت الإنسان

الغربي والإنسانية الغربية. وتحقق الإمكانية ليس أمرًا حتميًا، فالإنسان هو الكائن الوحيد الذي يمكن أن يرقى فوق إنسانيته ويمكن أن يهبط دونها.

وثمة علاقة بين الهوية والإبداع، فالإنسان الذي لا هوية له لا يمكنه أن يبدع، لأن الإنسان لا يبدع، إلا إذا نظر للعالم بمنظاره هو وليس بمنظار الآخرين، لأنه لو نظر بمنظار الآخرين، أي لو فقد هويته، وأصبح عقله في أذنيه، فإنه سيكرر ما يقولونه ويصبح تابعًا لهم، كلّ همّه أن يقّلدهم، أو أن يلحق بهم، ويبدع داخل إطارهم، بحيث يتحقق إبداعه من داخل تشكيلهم الحضاري، كما يحدث لكثير من العلماء العرب الذين يهاجرون إلى الغرب. وهذا ما أدركه لورد ماكولي، السياسي والكاتب الإنجليزي.

ففي خطاب له للبرلمان الإنجليزي في ٢ فبراير١٨٣٥ قال: «**لقد سافرت في الهند طولا وعرضًا، ولم أرشخصًا واحدًا يتسول أو يسرق. لقد وجدت هذا البلد ثريًا لدرجة كبيرة، ويتمتع أهلها بقيم أخلاقية عالية، ودرجة عالية من الرقي، حتى أنني أرى أننا لن نهزم هذه الأمة، إلا بكسر عمودها الفقري، وهو تراثها الروحي والثقافي. ولذا أقترح أن يأتي نظام تعليمي جديد ليحل محل النظام القديم، لأنه لو بدأ الهنود يعتقدون أن كل ما هو أجنبي و إنجليزي جيد وأحسن مما هو محلي، فإنهم سيفقدون احترامهم لأنفسهم وثقافتهم المحلية، وسيصبحون ما نريدهم أن يكونوا، أمة تم الهيمنة عليها تماما**».

هـذه هـي الخطـة الشـيطانية التـي لا يـزال الاسـتعمار الغربـي يستخدمها ضدّنا، ولذا علينا أن نحتفظ بهويتنا وندافع عنها ونفعّلها ونعبّر عنها من خلال أعمال إبداعية تخرج من بيئتنا وتعود إليها. فمثلا هل يمكن أن نطور مدنًا لا تسير فيها سيارات خاصة، على أن نطور نظام نقل عام جيد، السيارات فيه تسير بالغاز الطبيعي، ومن ثم نقضي على التلوث بكل سلبياته، الذي يكلفنا الكثير من الناحية الصحية والاقتصادية؟

لماذا لا نطور تكنولوجيا الطاقة الشمسية ومساقط المياه، في منطقة معروف أنها ستواجه شحًا في المياه، حتى أنهم يقولون إن حروب هذا القرن ستكون حروب المياه؟

لماذا لا نركز على تكنولوجيا تحلية المياه ونخلّصها من مشاكلها؟

لماذا لا نطور مفاهيم جديدة في الإدارة، رجل متقدم في السن يحيط به مجموعة من الشباب الأذكياء، ولا يكون المدير هو الآمر الناهي، و إنما يستمع لمستشاريه، بحيث تصل المجموعة إلى شكل من أشكال الإجماع الذي لا يولد التوترات؟

المدير هنا لا يدير و إنما ينسق، والأطراف قوية مثل المركز. هذا ما فعله اليابانيون وطوروا اقتصادًا على مستويين، فهناك الاقتصاد المتقدم والذي يستفيد بكل منجزات العلم والتكنولوجيا، ولكن هناك مستوى آخر وهو ما يمكن تسميته الاقتصاد الشعبي. فشركة

مثل سوني على سبيل المثال تستخدم آخرما توصلت له التكنولوجيا، ولكن هناك أعمال أخرى يمكن إنجازها يدويًا، فترسل بها إلى الريف الياباني، فيقوم الفلاحون بإعدادها في منازلهم.

ويدعي البعض أن التمسك بالهوية يؤدي إلى الحروب والمجازر، وهذه مبالغة غيرمقبولة. فهل الحربان (العالميتان)، الأولى والثانية، تمتا باسم الهوية أم باسم المصالح الاستعمارية؟

وماذا عن فيتنام وغزو العراق وأفغانستان والحرب الباردة؟ هل التشكيل الاستعماري الغربي الذى أحرق الأخضرواليابس، والذى أباد الملايين ونهب ثروات الشعوب، هل تم تعبيرًا عن الهوية الغربية أم تعبيرًا عن طمع وجشع الطبقات الحاكمة؟

وتفعيل الهوية شيء أساسي في عملية النهوض الحضاري، فهويتنا قد تشكلت – كما أسلفت – عبرتاريخنا حتى أصبحت منا وأصبحنا منها. فعملية التنمية لا يمكن أن تتم من خلال برنامج اقتصادي وسياسي عام، فالبشرلا يتحركون في إطارالعام، وإنما يتحركون في إطارالخاص الذى يعرف احتياجاتهم ويأخذ في الاعتبار توجهاتهم وأشواقهم وأحزانهم.

وأعتقد أن ظهورما يسمى النظام العالمي الجديد والنزعة الاستهلاكية الشرسة يزيد من أهمية قضية الهوية وضرورة التمسك بها. إن ظهورالهوية في القرن العشرين مسألة لها دلالة، فهي حماية للإنسان ضد عمليات التنميط الزاحفة، وضد العولمة التي كانت

توجد بشكل جنيني في بداية القرن وأصبحت الآن مسيطرة ومهيمنة.

إن الهوية في الواقع شكل أساسي من أشكال المقاومة شرط ألا تتحول إلى "غيتو" يدخل فيه الإنسان ويتخندق.

هذا لا يعني أن تمسكنا بهويتنا العربية الإسلامية سيفصلنا عن الآخرين، ويمنحنا حقوقًا مطلقة، كما فعلوا في ألمانيا النازية وفي التشكيل الاستعماري الغربي. الهوية العربية الإسلامية هي مجموعة من السمات الإنسانية المختلفة التي قد تسم جماعات إنسانية أخرى، ولكنها توجد بشكل معين وبترتيب محدد يعطي الهوية العربية فرادتها.

ففي الدولة الإسلامية مثلاً كان يوجد هويات مختلفة، لكن رغم ذلك كانت غيرمتنازعة. كان يمكن للإنسان أن يأتي من خراسان إلى مصرفيُرحّب به، وكذلك أهل المغرب الذين وجدوا في مصر وطنًا لهم من دون أي مشكلة.

ولعل الفن الإسلامي هوأكبردليل على التنوّع والاختلاف لدرجة أن بعض المؤرخين الغربيين ينفون وجود فن إسلامي بسبب تنوعه، وفي الواقع هناك فن إسلامي هندي، و إسلامي عربي الذي ينقسم بدوره إلى إسلامي مصري (فاطمي وأيوبي ومملوكي) و إسلامي دمشقي وهكذا.

الإسلام قد قبل التنوّع داخل إطارشامل من الوحدة، وحدة ليست

عضوية، و إنما فضفاضة، وهو تنوّع قد سمح للجماعات الدينية والإثنية المختلفة بأن تبدع من خلاله، مثل إبداع الأكراد و إبداع العرب المسيحيين واليهود.

وقد كان هذا النموذج للهوية مرفوضًا من الغرب حتى عهد قريب، لأن التعريف الغربي للهوية كان تعريفًا عضويًا، أي يرى الهوية باعتبارها كيانًا متماسكًا تمامًا وكأنها النبات أو الحيوان أو كيان عضوي، لا يمكن أن تفصل أجزاءًا منه ويكتب له البقاء.

أذكر أنني عندما كنت في الولايات المتحدة في الستينيات: كانوا دائمًا يسألونني هل أنت عربي أم مصري أم مسلم، ويشيرون إلى هذا باعتباره اختلاطًا في الهوية، ومن ثم نقطة سلبية. فكنت أشير إلى جون ميلتون الشاعر الإنكليزي الذي عاش في عصر النهضة، وكان يكتب بالإنكليزية واللاتينية ويعدّ نفسه إنكليزيًا وأوروبيًا ومسيحيًا في الوقت ذاته، وكان يتحدّث باللاتينية مثلاً مع أصدقائه حين ينتقل في أرجاء أوروبا. وكانت تواريخ الأدب ترى هذا دليلا على عظمة عصر النهضة الغربية، فكنت أقول لهم أنا أيضًا دمنهوري عربي مسلم، وفي بداية الأمر ونهايته إنسان، فإنسانيتي العامة المشتركة لا تتناقض مع انتماءاتي المتعددة.

إن الرؤية الغربية الحديثة رؤية مادية عضوية مصمتة، تجعل الإنسان صاحب الهوية الذي يعيش على أرضه القومية ومجاله الحيوي، موضع الحلول ومرجعية ذاته، ولذا لا يمكن استئناف أحكامه، ثم فرضوا هذه الرؤية على الواقع بالقوة، فظهرت فكرة

الدولة القومية العضوية وكل هذه المفاهيم العنصرية. وقد أدى هذا إلى أن الحدود الديموجرافية والدينية والسكانية لهذه الدولة العضوية تماثلت مع الحدود الجغرافية، وبالتالي تم القضاء على معظم الأقليات. فالثورة الفرنسية قضت على كثيرمن الأقليات، وعلى مجموعة من اللهجات، مثل لهجة "الأوكستانيان و"البريتون". وهذه صفة في أوربا منذ القدم.

وأذهب إلى أن أهم تفعيل للهوية في التاريخ العربي الحديث هو الانتفاضة الفلسطينية التي استدرجت "الإسرائيليين" إلى أرضية غير حديثة يصعب على الجندي "الإسرائيلي" أن يتعامل معها بكفاءة، ولم يجد الصهاينة حلاً لهذه الورطة إلا بالالتفاف حول الانتفاضة لكبح جماحها، ومن هنا كانت اتفاقية أسلو. وهناك محاولات أخرى لتفعيل الهوية مثل قيام الدكتورحامد الموصلي بعدة مشاريع ناجحة نابعة من تفعيل الهوية، مثل صنع الخشب من سعف النخيل. وهناك محاولات الدكتورعبد الحليم إبراهيم وراسم بدران لتطوير معمارإسلامي حديث. كما يمكننا تفعيل مؤسسات وسيطة مثل الأسرة والجيرة، بحيث يمكن إدارة مجتمعنا بطريقة إنسانية. والله أعلم.

في الدفاع عن الهوية

يرى البعض أن هناك استهدافًا للهوية العربية بحد ذاتها أو بشكل خاص، ولكنني أذهب إلى القول إن هذا صحيح وغيرصحيح في

الوقت ذاته، فهناك ما يهدد الهوية على الصعيد العالمي، حيث أفرزت الحضارة الغربية ظواهرتهدد ظاهرة الإنسان نفسه، من أهمها ما أسميه الاستهلاكية العالمية التي تضرب صميم ثوابت الإنسان وأخلاقياته.

لقد ظهرفي القرن التاسع عشرفي الولايات المتحدة حضارة جديدة تتميزبالبرجماتية بمعنى أنها تفضل السهل على الخيّر والجميل. هذه الحضارة حققت انتشارًا غيرعادي وأصبح يطلق عليها اسم النظام العالمي الجديد، وهى ترجمة لنظرية أن الناس هم مجموعة من البشرليست لها هويات محددة، وما يهم هو الوفاء باحتياجاتهم المادية المباشرة، وبذلك اختفى المشروع الخاص وحلت محلة حضارة الكوكاكولا والهامبورجر!

ومع تآكل الهوية، يزداد التراخي الإنساني، وتزداد النزعات الذرية في المجتمع، وتصبح الهجرة إلى الخارج أو السطو على بنك أو شراء ورقة يا نصيب هو الحل، وأصبح من الصعب أن نطلب من الجماهير أن تستيقظ مبكرة، وأن تضحي بنفسها وأن تؤدي عملها في غياب مثل أعلى!!

لابد أن يدرك الناس أن الهوية ليست مجرد فولكلورولكنها في واقع الأمرتعبيرعن رؤية كاملة للكون. فالناس تستيقظ كل يوم لأداء عملها لتحقيق هدف ما، ولكن بدون وجود هدف تصبح عملية الاستيقاظ عملية بيولوجية خالية من المعنى. **بينما أعتقد أنه في ظل**

وجود مشروع حضاري يعبرعن الهوية وعن رؤية الكون يصبح الاستيقاظ فعلاًإنسانيًا يسهم في بناء الوطن.

ومع هذا هناك عوامل تهدد الهوية العربية على وجه الخصوص منها أن حضارة الصورة بدأت تحل محل اللغة المكتوبة أو الشفهية، والعرب لم يتملكوا بعد ناصية هذه اللغة الجديدة، ولذا فإن الأفلام الأمريكية والفيديو كليبات (التي تعبرعن رؤية للكون لا تكترث كثيرًا بالهوية أو بمجموعة القيم المرتبطة به) تكتسح الإنسان العربي وتقوّضه.

كما أن أكبرتهديد للهوية العربية هو الدولة الصهيونية، لأن مشروعها هو بعث ما يسمى "الهوية اليهودية"، وهذا يتطلب تفتيت الهوية العربية ومحوها. ومن هذا المنظورالصهيوني لابد من العودة إلى ما قبل الإسلام، حيث كانت هناك هوية آشورية وفرعونية وفينيقية، ومن هنا الدعوة للعودة إلى الحضارة الفرعونية في مصر، و إلى الحضارة الفينيقية في لبنان والحضارة الآشورية البابلية في العراق! وهذه كلها حضارات مُتحفيّة جميلة، لكنها ليس لها امتداد في الحاضر. ولكن الدولة الصهيونية تريد أن يصبح الشرق الأوسط مقسم إلى دويلات أثنية ودينية وعرقية، ومن ثم تصبح الدولة العبرية مسألة طبيعية للغاية، لأنه داخل التشكيل الحضاري العربي فإن مثل هذه الدولة تصبح كيانًا دخيلاً شاذًا! وقد ترجم المخطط الصهيوني نفسه في الآونة الأخيرة إلى فكرة السوق شرق الأوسطية، ثم مشروع

الشرق الأوسط الكبير، حيث يتم تفتيت الهويات، لتظهر الهوية العبرية وتقوم بقيادة المنطقة وتوظفها لصالح الغرب.

هناك كذلك محاولة لضرب الفصحى، وعاء الذاكرة التاريخية، وبدون هذه الذاكرة التاريخية وبدون الفصحى يتحول الإنسان العربي إلى الإنسان ذي البعد الواحد الذي يمكن التنبؤ بسلوكه ويمكن توجيهه ليستهلك السلع التي تنتجها له الشركات عابرة القوميات والحدود والهويات. أما الإنسان الذي لا يدخل ضمن هذه المنظومة فإنه إنسان غيراستهلاكي وبالتالي فهو بوسعه مقاومة هذه المنظومة.

لكل هذا لابد أن نتصدى للجهود المبذولة لتفتيت الهوية، فلابد أن نبين لجماهيرنا أن الهجوم على الهويات هو إحدى السمات الأساسية للنظام العالمي الجديد، وأن الهجوم على الهوية العربية هو إحدى البنود الأساسية في المخطط الاستعماري بالنسبة لعالمنا العربي، وأن نبيّن لهم ضرورة التمسك بالهوية، وأنها ليست مجرد زخرف جميل، و إنما مكون أساسي من شخصيتنا القومية، وأن التنمية بدون تفعيل الهوية أمر مستحيل. وحيث أن منتجات الحضارة الغربية (الأفلام – الفاست فوود – الاستهلاكية) هي التي تهدد هويتنا، **يصبح من الضروري أن نبيّن الجوانب المظلمة للحضارة الغربية ولمنتجاتها التي تُصدّر لنا والتى نبتلعها ونهضمها بسهولة بالغة.**

ومن هنا ضرورة قيام وكالة أنباء عربية متخصصة تعمد إلى رصد

هذه الحضارة، بعيدًا عن تأثيرالإعلام الغربي، وتبيّن الثمن الفادح الذي يدفعه المواطن الأمريكي بسبب سياسات الحكومة الأمريكية.

كما يجب أن نطرح مفهومًا للوحدة غيرالعضوية فيما أسميه "الوحدة الفضفاضة" التي تفسح المجال أمام كل الجماعات الإثنية والدينية أن تعبرعن هويتها، طالما أن هذا التعبيرلا يفت في عضد سيادة هذه الدولة. فالنظام التعليمي -مثلا- ينبغي أن يقبل بالتعددية. والوحدة الفضفاضة هذه تسمح لكل دولة أن تدخل في إطارالوحدة العربية دون أن تفقد ما يميزها. فالمغرب -على سبيل المثال- بلد عربي إسلامي، يتسع لجماعات أخرى مثل الجماعات الأمازيغية. والعراق بلد عربي إسلامي يتسع للسُنَّة والشيعة والأكراد والتركمان.

وأعتقد أن نموذج مصرنموذج جيد لهذه الوحدة الفضفاضة، فرغم كل الأحداث (الأخيرة)، يظل أقباط مصرلهم عقيدتهم وهويتهم، ويظلون جزءًا من المجتمع المصري. إن فرض مفهوم الوحدة العضوية يؤدي إلى العنف والصراع، أما مفهوم الوحدة الفضفاضة فسيخلق لكل جماعة فضاءها الحضاري الخاص بها، وسيندرج الجميع داخل إطارالتشكيل الحضاري العربي. ولعل ما حققته الدول الأوربية من خلال الاتحاد الأوربي قد يكون نموذجًا نسترشد به.

وقد فشلت مشاريع النهضة العربية في العصر الحديث لأنه، مع الأسف، لا يزال البعض يرى أن جوهر المشروع النهضوي العربي هو التخلّي عن هويتنا وتراثنا ثم اللحاق بالغرب. وقد أدى هذا إلى إسكات حاستنا النقدية في علاقتنا بالغرب، ونكتفي بنقل ما يأتينا من أفكار. لننظر مثلا ماهو موقفنا من الحداثة؟ هناك من السلفيين من يرى ضرورة رفض كل ما يأتينا من الغرب، وهناك الأصوليون العلمانيون الذين يرون ضرورة (وأحياناً حتمية) تبني منظومة الحداثة الغربية، بخيرها وشرها، وحلوها ومرّها، وكأننا كائنات متلقية تستوعب كل ما يأتينا من الغرب دون أن نعمل ملكتنا النقدية.

ألا يمكن أن نُخضِع هذه الحداثة الغربية لعملية نقد وتقييم صارمة، فنبيّن جوانبها المظلمة، ثم نطرح رؤيتنا لحداثة إنسانية إسلامية تضم الجميع، ولا تجعل من تصاعد معدلات الاستهلاك مؤشرًا يتيمًا على التقدم؟

بل فلننظر إلى ما فعلنا مع مدرستين فكريتين مثل البنيوية والتفكيكية. لم يسأل أحد لماذا أصبح الغرب بنيويا معاديًا للإنسان؟ لقد تعلّمنا قديمًا الإنسانية الهيومانية من الغرب، فلماذا قرر الغرب فجأة في الستينيات أن يعادي الفكر الإنساني الهيوماني، ويرى أنه ملوث بالميتافيزيقا؟ ماذا حدث لتأتي التفكيكية وتعلن انتهاء المعنى وفشل اللغة، وموت المؤلف؟ لقد تحولنا إلى ناقلين، وعندما ينظر أحدنا إلى كتاب نقد أدبي غربي فإنه ينقل ما فيه بأمانة شديدة، ولا

يسأل: إلى ماذا سيؤدي هذا المفهوم، وما مغزاه، وما هي المفاهيم الكامنة فيه؟

وقد لوحظ في الآونة الأخيرة استقطابًا واسعًا في الساحة المصرية حول طبيعة هوية مصر، إذ ظهر مرة أخرى دعاة العودة إلى الفرعونية، والذين ينادون بأن "مصر أولاً". وفي تصوري أن هؤلاء لا يفهمون لا حقائق الجغرافيا ولا حقائق التاريخ. ولعلهم لو قرأوا جمال حمدان لفهموا بعض هذه الحقائق، ولعرفوا أن همّ الاستعمار الغربي هو فصل مصر عن الجسد العربي، فيتهاوى الجميع سويًا. وهذا كان هو هدف معاهدة كامب ديفيد.

ألا يتم تقسيم العراق والسودان ولبنان ومحاصرة فلسطين، و"مصر أولاً" جالسة تراقب، وتلعب دورًا ذيليًا غير مؤثر غير مدركة أن كل هذا يهدد أمنها القومي؟

إن مصر (وفلسطين) من أهم البلاد في العالم من الناحية الاستراتيجية، ولكن بنيتهما التحتية السكانية والاقتصادية لا تمكّنهما من الدفاع عن نفسيهما. ولذا حين كانت تحدث نهضة في مصر كان لابد وأن تدافع عن جناحها الشرقي وتوطد صلتها ببقية العالم العربي، حتى يتحدث الجميع بصوت واحد أو تتحدث مصر باسمهم. هذا ما فعله الفراعنة، وهذا ما فعله إبراهيم باشا في العصر الحديث، ثم جمال عبد الناصر. ولذا كانت مواجهته مع الاستعمار مواجهة شرسة، انتهت بضربة ٦٧. ثم أطلت الفرعونية

و"مصر أولاً" برؤوسها تعبيرًا عن هذه الهزيمة، ووصلنا إلى ما وصلنا إليه.

ويسأل البعض متى تستعيد مصر دورها الثقافي، وهل هذا له علاقة بقضية الهوية؟ وللإجابة على هذا السؤال لابد أن أوضح أمرين: أولاً يجب علينا أن ندرك أن العالم العربي لم يعد كما كان في منتصف القرن الماضي. ففي الخمسينيات كان يوجد مركز قوي وكثيف للثقافة العربية هو القاهرة، وكانت الأطراف ضعيفة. أما الآن فالأطراف لم تعد ضعيفة، إذ يوجد مراكز ثقافية عديدة في العالم العربي من أهمها المغرب وسوريا والعراق قبل الاحتلال ولبنان والسعودية. لقد أقمت في السعودية عدة أعوام وتعرفت على النشاط الثقافي الثري فيها وعلى مجموعة من المثقفين الذين يتمتعون بمستوى عالٍ من المعرفة والإبداع. كما أننا نعرف جميعًا الإبداعات الفكرية التي تأتينا من المغرب وتؤثر في كثير من الشباب المصري. كما أنني على علاقة طيبة بكثير من المثقفين والناشرين السوريين وأعرف إسهاماتهم الثرية الكثيرة.

ثانيًا يجب أن ندرك أن مصر لن يمكنها أن تستعيد دورها القيادي الثقافي داخل هذا الوضع الجديد في العالم العربي، حيث لا مركز ولا أطراف، أو أطراف قادرة على الإبداع والإسهام، إلا بعد أن تعرِّف هويتها، ونحن إن عرفّنا هويتنا سيكون بوسعنا أن نعرّف أولوياتنا، وأن نقرأ ماضينا وحاضرنا، ومن ثم يمكن أن نتحرك نحو المستقبل.

كما أنه إن عرفّنا الهوية فيمكن أن نجند الجماهيرلتحقيق مشاريعنا نحو التطويروالتنمية والتحديث. فالإنسان لا يستجيب للقانون العام، و إنما يستجيب لما هو متعين وخاص، إذ بوسعه أن يستوعبه ويستبطنه ثم يتحرك في إطاره. إن أي مشروع للتنمية يتطلب قدرًا من الإرجاء لإشباع الرغبات حتى يتحقق قدرًا من التراكم. هذا الإرجاء ممكن في إطارمشروع قومي يتجاوزالفرد واحتياجاته المادية المباشرة وهمومه اليومية الخاصة. فبوسع الإنسان أن يحرم نفسه من الإشباع المباشروالفوري في إطارمثل أعلى سيحقق له، ولأولاده من بعده، قدرا من السعادة الآجلة.

لكي تقود مصرالمنطقة العربية لابد أن تحدد هويتها.

وأنا أتساءل هل مصربمكوناتها الحالية مرشحة لهذا الدور، أم أننا على مشارف تآكل هذه الهوية؟

وسوف أجيب على كل هذه التساؤلات بصراحة فأقول "أنا متشائم!!" لأن التوجه الآن في مصرهو توجه برجماتي عملي، فنحن نحاول أن نجد حلولا لبعض المشاكل الملحة مثل مشكلة الغلاء، أو المواصلات، أو المساكن، أو الميزان التجاري أو العطش دون أن نضع إستراتيجية عامة، ولا يمكن وضع مثل هذه الإستراتيجية إلا بعد أن نعرّف هويتنا ومرجعيتنا النهائية. وأنا أزعم أن هذا المشروع الحضاري الذي يستند إلى تعريف للهوية غائب عن مصر. فالهوية المصرية على المستوى المصري أو العربي أو الإسلامي ستزداد ترهلا وميوعة!! والله أعلم.

مجمع التقريب بحاجة إلى هيكلية جديدة لتشكيل أمة إسلامية واحدة

أشار الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية إلى البرامج الجديدة التي قد أدرجها المجمع على جدول أعماله، قائلاً: "في رسالة تسلّمتها من قائد الثورة الإسلامية أكّد سماحته التمهيد لتشكيل أمة إسلامية واحدة؛ الهدف الذي يحتاج لتحقيقه إلى تقديم هيكلية جديدة للمجمع."

وفي حوار خاص مع وكالة الأنباء القرآنية الدولية (ايكنا) أشار آية الله الشيخ محسن أراكي إلى إقامة **قمة حركة عدم الانحياز** في ايران معتبرًا إياها فرصة مناسبة لتحقيق الانسجام الرامي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، قائلاً: حضور وفود الدول الإسلامية في قمة عدم الانحياز بطهران كان فرصة مناسبة للقيام بأعمال عدة.

وتابع قائلاً: فلهذا عقدتُ على هامش القمة اجتماعات بحضور وفود مختلف الدول الإسلامية منها الجزائر، وليبيا، وسوريا، والبحرين،

والعراق ما أدى إلى أن تطرح فيها مباحث حول التمهيد للتقريب بين المذاهب الإسلامية أكثرمن ذي قبل .

وتحدث عن دورحركة عدم الانحيازفي التقريب بين المذاهب الإسلامية، قائلاً: تعتبرحركة عدم الإنحيازحركة دولية يشكّل العالم الإسلامي قسمًا عظيمًا منها فلهذا يمكن القول إن مؤتمرعدم الانحيازيعتبرنوعًا ما مؤتمرًا للدول الإسلامية أيضًا.

واعتبرقائلاً: لو أراد المجمع تحقيق أمة إسلامية واحدة بوصفها مطالبة قائد الثورة فهو بحاجة إلى تحديد إستراتيجية وهيكل تنظيمي قوي يتمكن من اتخاذ تدابيرمؤثرة لتحقيق هذا الهدف الكبير وتلبية توقعات الشعوب. وأضاف الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية: قد أدرج المجمع في هذه الدورة الدعم للمسلمين خاصة الجاليات المسلمة في مختلف الدول على جدول أعماله وسيولي اهتمامًا خاصًا بهذا الأمر.

التقريب بين المذاهب
بين الواقع والمأمول

جعفرعبد السلام *

تجتاز أمتنا الإسلامية حلقة جديدة من حلقات الصراع الذي يخبو حينًا، ويشتد أواره أحيانًا، بين عالمنا الإسلامي والعالم الغربي، وهو صراع متعدد الرؤى، والتداعيات السلبية الكثيرة.. والتي تعكس آثارًا متنوعة على واقع الأمة الإسلامية مما يعوق مسيرتها ويقف حجرعثرة في سبيل انطلاقها ونهضتها وتحقيق أهدافها في حياة مزدهرة وناهضة.

وفي ضوء هذا الواقع وفي مواجهة هذه التحديات العولمية المتصاعدة، تنشأ الضرورة لتكوين الجبهة الإسلامية المتماسكة التي تنبذ الصراعات البينية، وتحقق التآلف والتآزروعلى الأقل التنسيق والتكامل والفهم المتبادل....

لذلك فإن (التقريب بين المذاهب الإسلامية) يكتسب أهمية خاصة، في ضوء هذه التحديات المعاصرة والمواقف الغربية التي تنم عن تربص بالأمة الإسلامية، ومحاولة النفاذ لها من خلال ثغرات قائمة أو متوهمة في عالمنا الإسلامي...

---

* - الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية .

الأساليب الفكرية العمليةلتحقيق التقريب بين المذاهب الإسلامية:

لا شك أنه من القضايا الحيوية للمسلمين اليوم في كل مكان، قضية التقريب بين المذاهب الإسلامية وبخاصة بين المذاهب الشيعية والمذاهب السنية لعدة أسباب أهمها:

١- أن الخلاف بين الشيعة والسنة مضى عليه وقت طويل ولم يكن الخلاف في هذا الوقت إيجابيًا في معظم فتراته؛ بل ساده الكثيرمن المشكلات التي أثرت سلبًا على هذه العلاقات وبالتالي أثرت على مسيرة العلاقات في العالم الإسلامي بشكل عام.

٢- أن المجتمعات الإسلامية بدأت منذ فترة ليست بالقصيرة تتجه للحوارمع الآخر، والتفاهم معه على أسس للتعايش السلمي، وللتعاون على ما فيه **المصلحة للجميع**، وليس من المعقول أن يتم التفاهم والتعاون والتعايش المشترك مع فريق من المسلمين دون فريق آخر.

٣- إن فريقًا من المسلمين الذين يعيشون في مساحة واسعة من العالم يتركزفي الشرق أساسًا، قد حاز تقدمًا ملحوظًا في جميع شؤون الحياة، ومع ذلك لم تحاول المجتمعات المسلمة الأخرى التي تعتنق المذاهب السنية أساسًا، أن تتجه للتعاون الجاد معها. لقد قامت رابطة الجامعات الإسلامية بعقد مؤتمرفي شهريناير٢٠١١ عن الجامعات الإسلامية والاتجاه شرقًا، بهدف متابعة التقدم الذي أحرزته الشعوب الإسلامية وغيرالإسلامية في هذه المناطق، الهند وباكستان وبنجلاديش، وتايلاند وسنغافورة، وهي دول وشعوب لا يسود في بعضها الإسلام، إلا أنها أحرزت تقدمًا في جميع المجالات العلمية والعملية وعلى سبيل المثال قامت بنجلاديش عن طريق أحد

رواد البنوك بتأسيس بنك للفقراء يساعد كثيرًا على إعادة توزيع الدخل، ونيل الفقراء من هذه الشعوب نصيب من دخل الدول التي يعيشون فيها، فهذا تقدم على مستوى نظري وعملي لحل مشكلة الإنسانية الأزلية، مشكلة توزيع الثروة بين الأغنياء والفقراء.

والهند تحرز تقدمًا رائعًا في مجال البرمجيات وحاز شعبها قدرات تكنولوجية في مجال حزم البرامج على وجه الخصوص، مما جعل العديد من الدول في أمريكا وآسيا تستقدم العمالة منها في هذه المجالات.

وتقود الصين ثورة صناعية جديدة لا تقتصر على نوع واحد من الصناعات؛ بل تشمل كافة مجالات وأنواع الصناعات، وكذلك الزراعات مما نتج عنه وفرة في الإنتاج، بأسعار لا يمكن منافستها. وكل هذا التقدم قامت به مؤسسات بحثية في الصين، وفي نفس الوضع بالدول الآسيوية التي تشكل النمور الخمسة أو السبعة في الاصطلاح الاقتصادي الحديث.

ولا ننسى ما تم في الجمهورية الإسلامية الإيرانية من حصولها على تكنولوجيا الطاقة النووية، وعما قريب سيتم تخصيب نسبة كبيرة منها مما يوصلها إلى استخدام الطاقة النووية في توليد الطاقة والاستفادة الكبيرة منها، وسوف نحاول في هذه الورقة أن نقدم تصورًا لأهمية ووسائل قيام حوار فكري وعقلي يؤدى إلى التقريب بين المذهبين الشيعي والسني، وما هي أهم الآليات العملية والوسائل

التي يمكن أن تحقق هذا الهدف (التقريب بين المذاهب) وما هي الآثارالتي يمكن أن تنتج عنها.

الأساليب الفكرية والعملية لتحقيق التقارب:

أولاً: اللقاءات العلمية:

ويمكن أن تتخذ هذه اللقاءات أشكال متعددة، مثل المؤتمرات والندوات و ورش العمل، مما تعرفه مختلف الجامعات والمؤسسات العلمية وتمارسه على أرض الواقع.

ويجب أن يتم الإعداد لها بعناية من حيث الأهداف المبتغاة من اللقاء، والمحاورالتي يجب أن يدورحولها اللقاء، والأشخاص الذين سيسهمون في اللقاء، كما يجب إنشاء هيئات تقوم على تنفيذ ما يسفرعنه هذا اللقاء.

ويقوم الإعلام بمختلف صوره بالإعلان عن اللقاء، ويجب أن تتخذ أمانة الملتقى كافة الإجراءات التي تسهل لوسائل الإعلام المختلفة تغطية اللقاء.

وفي استطاعة وسائل الإعلام الحديثة مثل الانترنت والهاتف المحمول لعب دورحيوي في الإعلان عن اللقاء، سواء في مواقع الانترنت المختلفة أوالفيس بوك، وتويتر....إلخ.

ويمكن أيضا نشرالتوعية عن طريق استخدام المحمول ورسائل SMS وفي الإعلان عن اللقاءات بمختلف الصحف والمجلات العلمية.

وأعود فأقول إنه لا يمكن أن يحدث تقارب مذهبي إلا إذا تعرف كل طرف على مذهب الآخر جيدًا وعلى النقاط المشتركة التي تجمع كل منهما مع الآخر، وأيضًا على النقاط التي تباعد بينهما. وأعتقد أن مجمع التقريب من أفضل الأماكن التي أسهمت في تنظيم مثل هذه المؤتمرات التي تعقد في طهران سنويًا، وينبغي أن تعقد في أماكن أخرى من العالم الإسلامي؛ لذا أقترح أن تستضيف المؤتمر دول أخرى تعلن عن ذلك في كل مؤتمر حتى تنتشر فكرة التقريب في مختلف أنحاء العالم الإسلامي.

ثانيًا: إنشاء مؤسسات للتقريب

يوجد مجمع للتقريب في طهران يعقد سنويًا مؤتمرًا للوحدة الإسلامية ويشارك فيه عدد كبير من المهتمين بقضية التقريب، والأمل معقود على هذا المجمع في الدعوة إلى التقريب حتى تتحول من النظرية إلى التطبيق.

وكان قبل هذا المجمع في القاهرة مجمع حمل اسم جماعة التقريب، وظل يؤدى رسالته نحو عشرين عامًا، ولكنه توقف عن العمل لوفاة معظم أعضائه.

ولا مراء في أن مثل هذه المجامع تنهض بدور حيوي في التقريب، إذ توضع وسائل لها أهميتها في تحقيق ذلك، منها: تدريس المذاهب الفقهية، ففي الأزهر كان يدرس المذهب الجعفري والمذهب الزيدي لفترة من الزمن، ولكن لم تعد تدرّس الآن لأسباب غير معروفة.

على أن هناك محاولات جادة لعودة مجمع القاهرة، فمازال مقره في منطقة الزمالك، ولعل الإجراءات تنتهي بعودة هذا المجمع. إن هذه المؤسسات التقريبية يمكن أن تؤدى رسالتها على أكمل وجه إذا يسرت الدول الموجودة بها عملها وتيسرالإعلان عنها. كما يجب أن تضم علماء من مختلف المذاهب حتى يسهل الالتقاء والتعارف، كما يجب أن يكون لها جداول أعمال وخطط للعمل سنوية وشهرية وأسبوعية، حتى يتم تنفيذ الأهداف التي تقررفي أنظمتها الأساسية ولوائحها التنفيذية.

ثالثًا: البعد عن النشاط الدعوي بين المذاهب

يجب الاقتناع بضرورة البعد عن النشاط الدعوي بين أصحاب المذاهب، لأن أتباع المذاهب عندنا في الإسلام ولله الحمد، كلهم على عقيدة واحدة هي عقيدة الإسلام والاختلافات بينهم ليست جوهرية، وأستطيع القول بأنها في الفروع ولا تتعلق بالأصول ودعنا من الاختلافات بين المذاهب السنية، فهي لم تعد الآن تشكل مشكلة، لكن الخلافات بين المذاهب الشيعية والمذاهب السنية تشكل مشكلة منذ زمن بعيد، ومع ذلك فلاينبغي أن يدعوأحد منها أصحاب الآخرأن يخالفوا المذهب الذي يعتقدون فيه ويتبعوه، وهذا ما اتفق عليه في مؤتمرالتقريب الذي عقد في قطرمنذ سنوات.. وأنا أرى التمسك به بقوة، لأن الدعوة إلى أي مذهب تثير مشكلات عديدة وتجعل الحكومات وأصحاب المذهب السائد في

الدولة يقاومون هذه الدعوة و إذا كنا نؤمن بوحدة الدين الذي نتبعه، وهو الإسلام، فلماذا نفترق ويريد كل منا أن يفرض مذهبه على الآخر، إننا من هذا المنبر المهم نرجو أن نكف عن الدعوة إلى أي مذهب طالما أن المسلم يتبع مذهبًا دينيًا صحيحًا، كما يجب علينا البحث عما يجمعنا ويوحدنا معاً والبعد عما يفرقنا ويشعل الفتن ويؤجج المشاعر ويزيد من هوة الخلاف بيننا.

رابعًا: على أصحاب كل مذهب دراسة أصول المذهب الآخر

وهذه من أهم وسائل التقريب فبدون دراسة أصول كل مذهب لا يمكن أن نعرف ما يفكر أصحابه فيه وفي المذاهب الأخرى. أما دراسة أصول المذهب فهي تمكّن كل صاحب مذهب من معرفة ما يتفق فيه مع الآخر، وما يختلف، والواقع أن الأصول بين الشيعة والسنة لا تختلف كثيرًا، وربما يكون الخلاف الرئيس في فقه الإمام وأصول الحكم، وهي مسألة أتصور أن الفروق فيها قلّت بعد ظهور الإمام الخميني ووضعه مذهب ولاية الفقيه وكذلك هناك اتفاق بين المذاهب السنية على أن الخلافة في قريش، وعمومًا في الظروف التي تعيشها الأمة الإسلامية الآن فإن هناك شبه اتفاق على أن من حق الأمة في كل دولة أن تختار الأفضل ليحكمها، أما الفروع الفقهية الأخرى مثل زواج المتعة، فمن معرفتي الوثيقة لكبار رجال المذهب الشيعي، أرى أنهم يبيحون هذا الزواج دون ممارسة واسعة له، وقد درس الأستاذ الدكتور محمد الدسوقي المذاهب

الشيعية والسنية في الأصول وأخرج كتابًا بعنوان *مدخل لعلم الأصول* نشرته رابطة الجامعات الإسلامية بين فيه: كيف تتفق المذاهب السنية والشيعية على أصول واحدة وأوضح فيه الخلافات اليسيرة بين المذاهب السنية وتلك الشيعية.

إن بيننا مذاهب سنية كثيرة تختلف في أمور هينة وتتفق على الأصول، والمذاهب الشيعية تختلف بينها ولكن الأصول الفكرية واحدة، و إذا خصصنا جلسات عمل لبحث هذه الأمور فإننا سنلحظ قلة الفروق وسننتهي إلى التقريب فعلاً بين المذاهب.

خامسًا: تنقية الكتب

تنقية كتب كل مذهب من الكتابات التي تهاجم المذهب الآخر، وتذم أصحابه. وللأسف نجد هذا شائعًا في العديد من المؤلفات؛ بل نجد أن الأمر قد تجاوز المكتوب وأصبح في المنطوق.. وليس هنا عرض مناقب الإمام علي وأفضاله على المسلمين وقربه من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأخذ العلم عنه، ولا أنسى تلك الكتب والكتابات التي كتبت عن الإمام علي رضي الله عنه، من أمثال عبقرية الإمام للعقاد، *وعلي وبنوه* لطه حسين، وكذلك كتابات عبد الرحمن الشرقاوي. لقد أعطى هؤلاء الرجال لعلي بن أبي طالب بعض قدره وكتبوا عنه بمحبة واستفاضة، طبعًا لم يوفوه قدره، لكننا جميعًا قد تفتحت عيوننا على هذه الكتابات الرائعة التي عرّفتنا بفقه الإمام وبسيرته وبمناقبه، وعلينا أهل السنة وأهل الشيعة أن نجتمع معًا في جلسات عمل مطولة نبحث فقه هؤلاء

الأئمة الأعلام: أعلام السنة وأعلام الشيعة من الفقهاء على وجه الخصوص، لعلنا نخرج بموسوعة أعلام الفقه الإسلامي من السنة والشيعة، وسيكون لهذه الموسوعة أهميتها الكبيرة للتعريف بالفقه والجهود المبذولة فيه قديمًا وحديثًا. وعلينا أن نفهم سنة وشيعة أن خلافاتنا تكمن فى ماضينا، وحاضرنا ممزق، والمستقبل يحتاج إلى وحدتنا واتفاقنا معًا.

سادسًا: استخدام الإعلام كوسيلة رئيسة للتقريب:

ولاشك أن للإعلام دوره المهم فى التقريب بين المذاهب ويجب أن يستخدم بشكل جيد لأداء هذا الدور. والرسالة الإعلامية يجب أن تحمل مضمونًا قويًا للتقريب، لذا يجب أن تكون صادرة من المجمع، سواء في مقره بطهران أم من المجامع الأخرى التي يجب أن توجد في العواصم الإسلامية الرئيسة مثل: القاهرة وبيروت ودمشق وباكستان وتركيا وغيرها. كما يجب الإعداد لاستقبال هذه الرسائل الإعلامية الرئيسة في كل أنحاء العالم. أما المضمون الذي يتوافرفي الرسالة الإعلامية فيجب أن تتوافرفيه العناصرالآتية:-

الوسطية:

وتعنى الوسطية أن تتخذ الرسالة نقطة وسط بين الأفراد أي يبتعد عن التشدد ويبتعد كذلك التسيب، فكما هو معروف فإن الوسط نقطة بين هذين الأمرين، فيجب ألا نلتقط كل ما يدعو إلى الشدة من الأحكام الشرعية، ويجب أن يفهم القائمون على الرسالة

الإعلامية أنّ حياتنا الآن قد تغيرت عن العصورالماضية، ومن ثم يجب أن تغايرالرسالة الإعلامية ما استجد وما يستجد في حياتنا.

ويجب كذلك ألا ندعوالرسالة إلى التفريط في أمورالدين، فكل ما يحيط بنا من ظواهرتبدو مخيفة، إعلام متفلت يحلو له أن يظهرالعورات وأن يفتن الناس بإظهارالعورات ودغدغة غرائز الشباب.

أقول إن الدين الحنيف يضع الخطوط الواضحة للرسالة الإعلامية، فما يحرمه الدين ينبغي أن يمنع، وما يحله ينبغي أن يسمح به، ويجب على العقل المسلم أن يبدع من الرسائل ومن رسائل الإبهار ما يتفق مع حقائق الدين الإسلامي لقد كان الفن الإسلامي يهتم بإظهارروح الإنسان والحيوان والطيوروالتزيين بها، وبعدما ألم الفنان المسلم بالأحكام المحرمة من هذه الوسائل ابتدع التزيين بأوراق النبات، وأنتج فنا رفيعا، هو فن الجرافيك، والفسيفساء، وهكذا التزم الفنان المسلم بأحكام الشريعة وهذا الفن الرفيع، يتعامل مع الطبيعة والإنسان بشكل يجسد حاجته ويحسن استغلال الحياة المعاشة لصالحه.

العالمية:

فالإسلام دين عالمي، حيث أرسل رسولنا إلى كافة الناس بشيرا ونذيرا، وبالتالي فيجب أن تكون الرسالة حاملة لهذا المضمون سواء في البرامج أو في المنوعات والدراما، ويجب أن تستعين بفنون الصوتيات والمرئيات، لتحقيق هذا الغرض، إن قوام الرسالة الإعلامية في التليفزيون والسينما هو الإبهاربالصوت والصورة، كما يجب أن

تتحد الحكومات والشعوب الإسلامية في إنشاء شركات للإنتاج المشترك لمثل هذه الرسائل الإعلامية و إنني أقترح على الحكومة الإيرانية أن تقدم برامج واضحة في هذا المضمون إلى منظمة المؤتمر الإسلامي و إلى منظمة الإذاعات الإسلامية تتضمن هذه الأفكارأو غيرها من الأفكارالتي تقوى الرسالة الإسلامية الإعلامية وتجعل لها قوة ومصداقية.

الموضوعية والوضوح:

كما يجب أن تتوخى الرسالة الإعلامية الإسلامية، الموضوعية والوضوح، وتعنى الموضوعية عدم الانحيازإلى الجانب الإسلامي بدون دليل، ويجب أن تقدم كل فكرة برهانها ودليلها.

التنوع:

يجب أيضا الاستفادة من كل وسائل الجذب الإعلامية في الدراما أوالحيل السينمائية أو في الجرافيك غيرها والحمد لله أن الفيلم الإيراني صارله مكانته بين الفنون العالمية وكسب العديد من الجوائزفي المهرجانات الدولية، دون إسفاف ودون اللجوء إلى ابتزاز المشاهد بالمشاهد الفاضحة والمثيرة مما أعطى درسا للسينما الإعلامية ولاسيما الدول الإسلامية؛ لكي تحقق أهدافها دون اللجوء إلى هذه الوسائل.

إن الأوان قد آن لإنتاج رسالة إعلامية للدول والشعوب الإسلامية تتميزبالإبداع وتبعد عن الإسفاف.

إنشـاء معاهـد علميـة تتخصـص فـي دراسـات التقريـب: ومـن الممكـن أن تبـدأ معاهـد التقريـب فـي طهـران بهـذه الخطـوة، والمسألة يتوقف حلها على الإعداد الجيد للبرامج واستخدام الوسائل العلميـة لبـث روح التقريـب، فـي الكـوادر التـي تتلقـى العلـوم. وتحتـاج هـذه المعاهـد إلى المشـاركة فـي إعـداد البـرامج وتقـديمها بطريقة جذابة.

التكامل بين السنة والشيعة:

إن السنة والشيعة تجمعهما الأصول الإسلامية، ولا يجوز أن تفرق بينهم القضايا الفرعية والاختلافات الجزئية، وينبغي أن يسود بين الجميع روح الأخوة الإسلامية والتي تفرض على الأمة التعاون والتكامل والتناصر، فذلك سبيل لوحدة عملية تكفل للأمة القوة والعزة، وتحقق لها مستقبلا مزدهرا في مختلف المجالات العلمية وغيرها.

إنّ فـي الظـروف العالميـة الحاليـة فرصـة قـد لا تتكـرر لحركة عدم الانحياز. ما نود تأكيده هو أن لا تُترك غرفة قيادة العالم خاضعة لإدارةٍ وتحكمٍ دكتاتوري لبعض الدول الغربية. لابدّ من بلورة وضمان مشاركة ديمقراطية عالمية على صعيد الإدارة الدولية. وهذه هي حاجة جميع البلدان التي تضرّرت ومازالت متضررة من الهيمنة المباشرة وغير المباشرة لعدد من الدول المتسلطة المتجبّرة.

الإمام الخامنئي مخاطباً قمة عدم الانحياز

ثقافة المقاومة

يمر العالم الإسلامي بأوضاع عصيبة ومزرية تملأ القلب حزناً وألماً لما يشاهده المسلمون من غزو واحتلال وقتل وتهجير في أوطانهم، والمنظمات الدولية لازالت تقف متفرجة او مؤيدة لاصحاب السلطة بدلاً من حماية حقوق الإنسان المضطهد.

والذي يحصل هو نتيجة طبيعية للمنهج السلبي والإستسلامي الرائج المتبع لدى بعض حكومات الدول الإسلامية، وعدم تمكن الشعوب من أداء واجبهم الملقى على عاتقهم إنسانياً و إسلامياً.

ولا يمكن التخلص من هذه الأوضاع الراهنة الا بمحاولات تغييرية اساسية في مختلف الشؤون الحياتية، وأهمها الثقافية لأن الله تعالى "لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم".

فالتحول الثقافي هو اساس كل التغييرات الاصلاحية والاخلاقية والسلوكية، والسير نحو التقدم والتنمية. والتحول الثقافي يتوقف على نحو من المقاومة الايجابية، مقاومة الانحراف الداخلي، ومقاومة الغزو الخارجي فالأول لا يتحقق الا بالعودة إلى المبادىء الإسلامية الأصيلة الداعية إلى الأخوة والمحبة "رحماء بينهم"، والوحدة وعدم التفرق "واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا"، والسنة النبوية الشريفة "حلال محمد حلال إلى يوم القيامة"، وتبيين الأولويات العملية في بناء المجتمع الإسلامي والتذكير بعوامل قوة الأمة الإسلامية.

اما مقاومة الغزو الخارجي فهي لا تتحقق إلاً بمقاومة الاستكبار وغزوه المتكرر، والذي يتطلب منا معرفة العدو ومشروعه الشيطاني، والصمود أمامه "اشداء على الكفار"، وكشف مخططاته الإرهابية المتتالية "ومكروا ومكرالله."، وتبيين عناصرالضعف في صفوفه "ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالايرجون وكان الله عليماً حكيماً".

فقوى الإستكبارالعالمي مع تنوعها وتعدّدها تقف يداً واحدة بوجه العالم الإسلامي، بدعمها الإرهاب الدولي المتمثل بالكيان الصهيوني الغاصب، والمحتل للأراضي الفلسطينية، والذي يرتكب جرائم القتل والتهجيروالاختطاف، ويعارض جميع المحاولات المؤدية لأقامة السلام العادل الحقيقي، والمدافعة عن حقوق الشعب الفلسطيني المظلوم. ثم ان ولادة المنظمات التكفيرية من رحم الحكومات السلطوية الاستكبارية بدعة امريكية الصنع وجاهلية الاستهلاك.

فتوحد قوى الكفريتطلب منا الوقوف جنباً إلى جنب ومقابلة الكفرالمتحد "والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير" لمقاومة جميع المؤامرات الهادفة إلى تفريق الأمة والإستيلاء على ثرواتها الإنسانية والطبيعية، كما هو اليوم في فلسطين والعراق وافغانستان و

والتجارب السالفة اثبتت صحة نهج المقاومة، وبطلان المساومة والمداهنة الرخيصة، فإن انتصارالثورة الإسلامية وطرد القوى

الأمريكية المتغطرسة، حقق حلم الأحراروزرع روح الأمل في قلوب المسلمين باقامة دولة حضارية إسلامية، تنتهج دروب العزة والكرامة يوماً بعد يوم، والمقاومة الإسلامية في لبنان كبدت الجيش الذي لا يقهرخسائرنغصت عليه عيش الانتصارلاكثرمن خمسة عقود على الدول العربية باكملها، ولقّنته درساً لن ينساه ابداً، وانتصارحركة المقاومة الإسلامية في فلسطين كشف زيف الإدعاءات الغربية واكذوبة الديمقراطية للجميع، بعد حصارالغرب التام للدولة الفلسطينية المنتخبة، ووقوفه متفرجاً بل ومؤيداً لكل الاعتداءات التي طالت المجلس التشريعي الفلسطيني، وقياداته وخلقت العنف المتكرروالهمجي ضد الشعب الفلسطيني.

نعم لو انتفض العالم الإسلامي بروح مقاومة أمام مظاهرالكفر والظلم لكان النصرحليفه "ان تنصروا الله ينصركم الله ويثبت اقدامكم". فلنعمل على نشرثقافة المقاومة بين جماهيرنا المسلمة لنواجه التحديات الخارجية والداخلية.

التاريخ والحياة

لا يمكن لمجموعة بشرية أن تنفصل عن تاريخها، فهو يؤثر في روحها وفكرها وسلوكها إيجابًا أو سلبًا، غير أن هذا التأثير يتغير تبعًا لمستوى النضج الفكري للأمة، فإن كان مستواها هابطًا انجرفت في تيار أحداث متدفق من الماضي إلى الحاضر، دون أن يكون لها إرادة في تعيين مساره، و إن كانت تملك زمام أمورها سيطرت على مسيرة الأحداث التاريخية، ووجهتها وجهة رائدة.

فالأمة الحية لها من التاريخ موقف الإشراف، لا الانجراف، تتخذ من أحداثه عبرة. وتستخلص من غواشيه الدروس. فهي تنظر إلى صفحاته نظر الفاعل لا المنفعل، وتتفاعل مع أحداثه تفاعل خبير يريد أن يبني حاضرة ومستقبله.

نحن المسلمين: نملك ذاكرة تاريخية موثقة لا تملكها أية أمة، وتخزن هذه الذاكرة صورًا لا حصر لها من الأحداث والمواقف، الإيجابية منها والسلبية.

يشهد الخط البياني لمسيرتنا التاريخية تارة صعودًا يفاخر به الأمم، ويزين جبين الدهر. ويشهد أحيانًا هبوطًا مخجلاً يندى له الجبين.

ونحن اليوم نرث كل تلك الإيجابيات والسلبيات، فما موقفنا منها؟ هذا يتوقف على مقدار ما فينا من حياة و إرادة. إن كانت مظاهر الحياة فينا ضامرة تسربت إلى أجسامنا سلبيات التاريخ، كما

تتسرب الجراثيم إلى الجسد الضعيف لتزيده ضعفًا وتفتك به، و إن كانت أمتنا طافحة بالحياة والحركة والإرادة قاومت تلك السلبيات ولفظتها ورفضتها واجتذبت الإيجابيات تتمثلها في حياتها وتتزود بها في مسيرتها، وتستلهمها في عملية بناء حاضرها ومستقبلها.

من هنا نستطيع أن نفهم أن كل توجه واع للتاريخ هو مظهر حياة، ونفض الغبار عن صور السمو الإنساني على المستوى الفردي والاجتماعي. و إماطة اللثام عن روح الابتكار العلمي والفني للأجداد. وتحليل الأحداث تحليلاً يستخلص العبر والتجارب. كلها مظاهر حياة في المجتمع. ونبش خلافات الماضي لإثارة النزاعات، وخلق الأحقاد والتنافر مظاهر موت.

وكلا المظهرين قائمان في مجتمعاتنا الإسلاميّة؛ لأن هذه المجتمعات تشهد صراعًا بين الموت والحياة. يقف وراء عوامل الموت كل أعداء الأمة: من جهل وتحجر وطاغوت عالمي ومحلي. ويقف وراء عوامل الحياة كل العلماء الصالحين المجاهدين المخلصين الأحرار من الذين «عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم».

قبل أعوام انعقد في مدينة (قم المقدسة) مؤتمر بمناسبة الذكرى الألفية لوفاة الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المفيد رضي الله عنه، والذكرى التاريخية هذه تعيد إلى الذهن جملة من صور بعضها بيضاء ناصعة وبعضها سوداء قاتمة. صور الجهود العلمية الجبارة،

والقدرة الفكرية التأسيسية الفائقة، والريادة المنهجية في التأليف والتعليم من جانب. ومن جانب آخر صور النزاع الطائفي، والصراع الكلامي، والاشتباك اللفظي والجسدي، والتنافس العباسي والبويهي، وهدم الدور وإحراق المكتبات في بغداد.

وإزاء كل هذه الصور يقف العبد الصالح الإمام الخامنئي في ندائه الكبير الذي وجهه إلى المؤتمر موقف الرائد الموجه لأحداث التاريخ وجهة بناء وعطاء. فيستعرض في جولة فكرية طويلة ممتعة كل ما في حياة الشيخ المفيد رحمه الله ـ من معطيات إيجابية بناءة.

ثم هو ـ تجاه ما عصف بتلك الفترة الزمنية من أحداث مؤلمة أثرت في كتابات الشيخ المفيد ومواقفه ـ يقول:

«ما أريد أن أو كد عليه في نهاية هذا المقال هو: توصية العلماء والمفكرين المشاركين في هذا التجمع الثقافي أن يبذلوا كل وسعهم لجعل هذا اللقاء العلمي وسيلة تقريب فكري واتحاد عملي بين المذاهب الإسلامية.

إن أسلوب الشيخ المفيد ـ رحمه الله ـ في مواجهة خصمه المذهبي في زمانه متأثر دون شك بالحوادث الاجتماعية المرة، وبالمصائب التي ألمت بالشيعة المظلومين في ذلك الزمان، والتي أدت إلى إضرام نيران التعصب الأعمى. هذا الأسلوب لا يمكن أن يكون اليوم قدوة لمواقف الفرق الإسلاميّة من بعضها، حتى في المجالات الكلامية.

الفرق الإسلاميّة اليوم ـ باستعراض تلك المشاهد التاريخية المؤلمة ـ

يجب أن تتلقى تجربة التعاطف والمسالمة، وعليهم في هذا العصر ـ حيث مبادئ الإسلام التي تحمّل ما تحمّل أمثال المفيد من كل مذهب لإحيائها، تتعرض للخطر من قبل الأعداء الدوليين ـ أن يفكروا في الوحدة والتقارب والتعاون بين كل الفرق وجميع مفكريها. وهذا هو الدرس الكبير لثورتنا، والتوجيه الخالد لإمامنا الراحل قدس الله نفسه الزكية».

هذا المبدأ في قراءة التاريخ مبدأ هام يشكل معياراً للتمييز بين القراءة الحية المنطلقة من رواد الحياة، وبين القراءة الميتة المنبثقة من روح ميتة أو قاتلة.

فلنتجه إلى الإسلام. إلى الحياة. إلى استجابة دعوة التوحيد والوحدة ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾.

«ما أريد أن أو كد عليه في نهاية هذا المقال هو: توصية العلماء والمفكرين المشاركين في هذا التجمع الثقافي أن يبذلوا كل وسعهم لجعل هذا اللقاء العلمي وسيلة تقريب فكري واتحاد عملي بين المذاهب الإسلامية.

الإمام الخامنئي مخاطباً مؤتمر الشيخ المفيد

عزة الأمة في التقريب

آخر نظريات علماء التاريخ والاجتماع تؤكد أنّ حركة التاريخ تمرّ عبر حركة الشعوب نحو اكتساب عزّتها وكرامتها وشخصيتها. والشعوب التي لا تتحرك على هذا الطريق ليس لها سهم فى ساحة التاريخ.

وهذا الرأي له من ماضي الشعوب وحاضرها مالا يُحصى من الشواهد. وهو يوضّح سبب تأكيد الإسلام على "كرامة" الإنسان ، واهتمامه الشديد بعزّة المسلم منذ نشوء نطفته حتى بعد وفاته.

من المحاور الهامّة في الخطاب الإلهي للإنسان توعية الموجود البشري على كرامته وعلى مكانته في الكون، ورسم طريق عزّته الحقيقية، و إبعاده عن كلّ عزّة سرابية أوعما يذلّه ويصادر شخصيته وريحه.

وحين استشعرت الجماعة المسلمة الأولى عزّتها وكرامتها الحقيقيتين ارتفعت إلى مستوى الدخول إلى ساحة التاريخ، والسيطرة على حركته وتوجيهه الوجهة التي أرادتها رسالة الدين المبين.

وبقيت تعاليم الإسلام تضخّ في جسد الأمة روح العزّة والكرامة، وبهذه التعاليم بقيت حيّة تمسك بزمام حركة التاريخ. لكنّها كانت في صراع أيضًا مع العوامل والقوى الداخلية والخارجية التي حاولت إذلالها ومصادرة عزّتها وكرامتها. وكانت الأمة في كل مراحل التاريخ تمتلك من مقومات الحياة والحركة والحضور على ساحة التاريخ بقدر قدرتها على صدّ محاولات الإذلال والتركيع.

في عصر الاستعمار واجهت الأمة ولاتزال تواجه أعقد عمليات الإذلال، بدأت بالسيطرة العسكرية وتواصلت عبر النهب الاقتصادي والغزو الثقافي والاحتلال الصهيوني وخلق روح الهزيمة النفسية لدى أبناء الامة.

والأمة الإسلامية مع كل هذه الخطط الرهيبة لم تفقد تمامًا عزّتها ، بل بدأت هذه العزّة الإسلامية بالظهور على شكل مقاومة وصحوة وثورة تظهر هنا وهناك في أرجاء العالم الإسلامي لتعبر عن إرادة هذه الأمة في العزّة والكرامة.

ورغم أن فراعنة العالم يبطشون ويتآمرون ويرعدون ويزبدون ليقولوا للمسلمين أنهم فقدوا دورهم ولابدّ أن يكفّوا عن كل عودة لشخصيتهم وهويتهم، ولابدّ أن يخضعوا لجبابرة العالم، فإن العالم الإسلامي بفضل إسلامه يشكّل اليوم ثقلاً هامًا في الساحة العالمية، ويحثّ الخطى نحو إقامة حضارته من جديد، وليحاور الحضارات الأخرى بقوّة وعزم و إرادة، وليجعل خبراء الهيمنة الاستكبارية يحذّرون من مستقبل الإسلام في الصراع الحضاري الراهن.

كلّ هذه القوّة في المجموعة الإسلامية تعود إلى هذه الكرامة التي أوجدها هذا الدين في نفوس أتباعه. هذه الكرامة التي تأبى على الإنسان أن يذلّ نفسه، وأن يخضع للطاغوت، وأن يستسلم أمام الجبابرة. هذه الكرامة التي تجعل الفرد يستشعر مقامه في هذا الكون ومكانته بين الكائنات، ودوره في هذه الحياة.

بقي أن نذكر أن أكبر ما يهدّد الأمة اليوم وهي تتجه نحو استعادة عزّتها وكرامتها ليس هو بطش المستعمرين، فهو يزيدها قوة

وصلابة، وليس هو الاستهانة بكرامة المسلمين والاعتداء على مقدساتهم لأنه يؤدي إلى ردّ فعل إسلاميّ يدفع بمسيرة العودة إلى الهوية الإسلامية. وليس هو عمليات تكريس الاحتلال والاستسلام والتطبيع، إذ هي عمليات تثبت فشلها كل يوم. إنما التهديد الأكبر في النزاع الداخلي بين المسلمين. فهو نزاع يؤدي حتمًا إلى فشل المسلمين في استعادة دورهم التاريخي والى ذهاب ريحهم، والى ضمور الشعور بالعزّة والكرامة في نفوسهم.

وهنا تبرز أهمية رسالة التقريب، فدعوة التقريب تستهدف إزالة هذا النزاع، وبالتالي إحياء الهوية الإسلامية والعزّة الإسلامية في الأمة لتمسك بيدها بعد ذلك زمام حركة التاريخ وتوجه المسيرة البشرية نحو الخير والصلاح والسلام.

نشير هنا مرة أخرى إلى ما أكدناه مرارًا أن دعوة التقريب لا تريد أن تنهي الاختلاف الاجتهادي بين المسلمين، فهو ظاهرة خير وعافية وحياة. لكنها تريد أن تقضي على الخلاف الذي يؤدي إلى نزاع وشقاق وذهاب الريح.

إنها دعوة نادى بها كل من حمل هموم عزّة المسلمين، وغفل عنها كلّ من عاش هموم ذاته، وعارضها كلّ من رأى في عزّة المسلمين خطرًا على مصالحه. لكنّ الأمة بمجموعها تنشد عزّتها ولذلك سيثوب الغافلون ويتراجع المعارضون. والعاقبة للمتقين.

القدس محور وحدة المسلمين

لم تحظ قضية من قضايا المسلمين المعاصرة بالاهتمام كما حظيت به القضية الفلسطينية، ولم يتفاعل المسلمون مع وضع كما تفاعلوا مع مجريات الأوضاع في فلسطين، فارتباط الأمة الإسلامية بفلسطين لا يعبر عن ارتباط مادي بجزء من الوطن الإسلامي الكبير فحسب. وإنما هو ارتباط عقيدي، معنوي بالدرجة الأولى . مما جعلها محورًا لدفع الأمة -إلى جانب المحاور الأخرى -نحو الوحدة الإسلامية الكبرى.

فالقدس في مفاهيم المسلمين الخالدة أولى القبلتين، وثالث الحرمين بعد مكة المكرمة، والمدينة المنورة . ولم يحفل القرآن الكريم بحديث عبر نصوصه المباركة كما حفل بذكر هذه الأرض المباركة عندما تناول مسيرة الرسالة الإلهية وتطوراتها من خلال الحديث عن إبراهيم وإسحاق ويوسف وموسى وداود وسليمان ومريم وزكريا ويحيى وعيسى، ومحمد وغيرهم من أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام

وقد طفحت سور مباركة كثيرة في القرآن الكريم بتناول مجريات الأحداث الكبيرة التي جرت على صعيد هذه الأرض المباركة كسورة البقرة، وسورة مريم، والإسراء وسواها .

إن هذه الحقائق الكبرى هي التي ربطت (فلسطين) بضمائر

الناس، ووجدانهم، بما في ذلك النصارى، واليهود فضلاً عن المسلمين . حتى اشترك اصحاب الأديان السماوية الكبرى كلهم في الارتباط الروحي بهذه الأرض التي باركها الله عزوجل مما لم يتوفرلأية أرض أخرى على ظهرهذا الكوكب .

لقد ساد المسلمون في هذه الأرض قرونًا، فساد معهم التسامح، والحرية الدينية، والتعددية المذهبية، ولغة الحواربين عباد الله تعالى . وتجاورت فيها المساجد، والبيع، والكنائس كل يعبد الله تعالى بطريقته، ولسانه، ولم ينغّص حياة الناس في هذه البقعة إلا الحملة الصليبية التي حملت معها الحقد الأسود، والبغض، والفرقة، والتمييز بين العباد، حيث نشرت الدماروالفتنة طوال قرنين من الزمان .

حتى إذا فتح الله تعالى للمسلمين وأذل أعداء الإسلام والإنسان، عادت فلسطين، إلى حيث التسامح والصفاء بين أتباع الرسالات السماوية، بعد أن استأنفت حياتها في ظل الإسلام الحنيف ...

ومع بداية الحملة الصهيونية المدججة بسلاح الكفرالعالمي في مطلع القرن الميلادي الماضي عاد القلق، يخيم على أرض فلسطين مجددًا، حيث مخطط الاستيطان الصهيوني، والهجرة اليهودية الجماعية إلى ما سموه بأرض الميعاد، كما خطط لذلك المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في سويسرة في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي

وهكذا حوَّل المخطط الصهيوني أعدادًا كبيرة من اليهود إلى

مستوطنين طامعين بالأرض بدعم النفوذ الغربي، الذي زرع الدولة اليهودية العنصرية، فأحلت الفرقة، والعدوان في بلد السلام، والمحبة، والوئام.

ومنذ شهر مايس عام ١٩٤٨م، والمنطقة تشهد توترًا وعدوانًا حاقدًا، لم تشهد مثله منذ انحسار الموجة الصليبية الحاقدة .

وها هو الشعب الفلسطيني المجاهد يسطر ملاحم البطولة على جبين التاريخ، رغم التآمر الدولي بقيادة الولايات المتحدة الاميركية، والكيد الصهيوني.

إن المارد الإسلامي الذي يتململ من العدوان الصهيوني الغاشم لابد أن يكسر القيود والأغلال التي سلطها عليه الظالمون بدعم النفوذ الدولي للاستعمار، فيعيد الأمور إلى مجاريها الطبيعية، ليغرق الغزاة في وحل الهزيمة، فيعود التسامح الديني، والمحبة والوئام إلى هذه البلاد المقدسة تحت ظلال الإسلام الوارفة . حيث تتحقق أهداف الآيات الكريمة التي رددتها شفاه المؤمنين المرابطين عبر التاريخ، دفاعًا عن الحق، والخير والمعروف: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا، فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً، ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا، إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَ إِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ

الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا﴾(*).

إن هذه السنن الإلهية الخالدة التي تصورها آيات الكتاب المبين هي التي تفرض وجودها على واقع الأحداث بإذن الله تعالى، وقوته وستعصف قوى الخير في هذه الارض بكل المخططات السوداء التي حملت السوء، والعدوان، وأشاعت الظلم في دنيا الناس، بعد أن يبلغ الحال بالإدارة الاميركية، أن تتمادى في غيها إلى أبعد مدى، حين تعتبر «القدس» عاصمة لدولة اليهود الغاصبين، ممالأة للصهيونية، واعتداء على كرامة الأمة الإسلامية، وتجاوزًا لحقوق الشعوب، ومصالحها التاريخية. إن هذا الظلم التاريخي لن يمر أبدًا دون مواجهة وتصد من الأمة، وعقاب من الله تعالى.

فالقدس حرم الله تعالى، وقبلة عباده الأولى، وأرض المؤمنين الصالحين، وجرح هذه الأمة الذي ينزف منذ عقود... ولذا فإن هذه الحقائق الكبرى المحفورة في ضمير الزمان لايمكن أن يغير منها قرار آثم يتخذه الظالمون من العاملين بإرادة الحركة الصهيونية العالمية، سواء أكانوا في الكونغرس الأميركي، أو في المواقع الأخرى... كما أن استغلال الظروف الدولية، والإقليمية البائسة من قبل طواغيت الأرض، لايحوّل الباطل إلى حق، ولا يسبغ على الظلم لونًا من العدل أبدًا.

فالباطل لن يكون حقًا، تحت ظلال القوة، والغشم، والطغيان أبدًا، كما أن الظلم لن يكون عدلاً تحت طائلة الإرهاب والعدوان...

---

*- الإسراء / ٤ ـ ٧.

ولقد شهدت الإنسانية في عصرها الحاضر – كما في الماضي – كثيرا من الدول التي أفل نجمها، فصارت أثرًا بعد عين، كما شهدت معسكرات، وأممًا، تحول وجودها إلى عدم، بعد أن كانت تستطيل على الأمم بعضلات القوة، والإرعاب... ففي المانية النازية التي صارت رميما، والاتحاد السوفيتي الذي انتثرت أشلاؤه بين الأديان والقوميات كأنذارحيٍّ لكل الظالمين، وعبرة لكل من يلقى السمع وهو شهيد. ﴿وتلك الايام نداولها بين الناس﴾.

فلا طغيان أمريكا وجبروتها الحاضر يؤخر أجلا محتومًا لها ولا قراراتها الظالمة تثني عزيمة الشعوب الحية التي تبحث عن الخلاص مستعينة بالله القوي العزيزعزوجل، ومتسلحة بأدوات التغييرلواقع الاستخذاء، والنكوص، الذي طرأ على مسيرتها.

إن هذه الأمة التي جرى الإسلام الحنيف في عروقها ـ و إن استبد بها الضعف زمنًا – إلا أنها تقف اليوم على عتبة النهوض التاريخي الكبيرالذي تعيد به للتاريخ دورته لصالح الإسلام، والإنسان، وقيم الخير، والمعروف إن شاء الله تعالى، حيث تعبرهذه المحنة الكبيرة باتجاه صنع المجد، و إقامة العدل، ودحرقوى الظلام، بحول الله وقوته.

الرأي الفقهي
في السلام مع إسرائيل

عبد الهادي الفضلي[*]

دراسة قضية أرض فلسطين فقهياً عمل ابتكاري يتضمن أكثر من عطاء. فهو يوضح الموقف الفقهي الموحَّد بين أهل السنة والشيعة تجاه هذه القضية المصيرية، كما أنه ينحو بالفقه ليعالج قضايانا المصيرية، بدل أن نحصره في قضايا الأحوال الشخصية والمسائل الفردية المحدودة. وهذه الدراسة تحمل هذه المعطيات العلمية والرسالية، وتوضّح الواجب الإسلامي تجاه قضية فلسطين فقهيًا ورساليًا ومصيريًا.

تأتي قضية السلام بين العرب و إسرائيل في طليعة القضايا السياسية الراهنة، وبخاصة أن الولايات المتحدة الأمريكية قد ألقت بكل ثقلها السياسي لفرض السلام على العرب والمسلمين فرضًا من دون أن يترك لهم الخيار في اختيار ما يرونه مصلحة للمبدأ والأمة والوطن في ضوء التعليم الشرعي الإسلامي. والموقف الأمريكي من الجمهورية الإسلامية في إيران إذ ترفض هذا السلام لعدم مشروعيته إسلاميًا هو أقوى شاهد لاستلاب الخيار المشار إليه من العرب والمسلمين.

---

*- عالم وأستاذ جامعي وباحث من المملكة العربية السعودية .

وبغية أن نتعرف الرأي الفقهي الإسلامي في موضوع السلام والتطبيع بين المسلمين واليهود في دويلة إسرائيل المزعومة، علينا أن نمهد لذلك ببيان نوعية ملكية أرض فلسطين وفقًا لأحكام التشريع الإسلامي، ذلك أن الحكم سلبًا أو إيجابًا يتوقف على معرفة طبيعة علاقة المسلمين بأرض فلسطين لأنها موضوع الحكم الشرعي الذي نحاول التماسه في الرأي الفقهي للقضية، لأننا متى فهمنا حقيقة الموضوع اتضح أمامنا واقع الحكم.

فمما لا خلاف فيه تأريخيًا أن فلسطين كانت قبل الفتح الإسلامي تحت حكم الروم. ومما لا خلاف فيه أن فتح المسلمين لها كان عنوة كما يعبرعنه فقهيًا أي أنه كان فتحًا عسكريًا.

وفي الفقه الإسلامي تُعرّف الأرض المفتوحة عنوة بتلك التي تفتح من قبل الجيش الإسلامي بعد حرب عسكرية بينه وبين أصحابها.

ومن الثابت تاريخيًا أن فلسطين - كما أشرت - فتحت عن طريق دخول الجيش الإسلامي إليها بقيادة عمرو بن العاص وفي عهد الخليفة عمربن الخطاب (رضي الله عنه)وبعد حرب عسكرية بين الجيش الإسلامي والجيش البيزنطي.

ويبحث في حكم هذه الأرض فقهيًا في موضوع «ملكية الأرض» وموضوع «الخراج»، وربما في غيرهما.

وفي هذين الموضوعين يقسم الفقهاء المسلمون الأرض باعتبار فرض ضريبة الخراج عليها وطبيعة ملكية أهلها لها إلى قسمين:

١- الأرض المفتوحة صلحًا.

٢- الأرض المفتوحة عنوة.

ولأننا هنا نريد أن نعرف نوعية ملكية الأرض شرعًا أُشيرُلهذا ثم أذكرُما يوثقه من المصادرالفقهية الموثقة.

ففي أرض الصلح يقرالإسلام أصحابها على ملكيتها، ويقرلهم التصرف فيها تصرف المالك في ملكه فلهم بيعها و إجارتها وهبتها وما إلى ذلك من تصرفات مشروعة.

وفي الأرض المفتوحة عنوة هناك رأيان فيها:

١- رأي المذهب السني:

ويتلخص في أن للإمام الخياربين أن يقسمها بين الغانمين أو يوقفها على المسلمين عامة.

و إذا لم يقسمها الإمام بين الغانمين تعين الحكم الثاني وهو وقفيتها للمسلمين. وهو الرأي المعروف وسأشيرفي مابعد إلى الخلاف في المسألة.

٢- رأي المذهب الشيعي الإمامي:

وهو - ومن غيرخلاف بين فقهاء المذهب - لايجوزتقسيمها بين الغانمين، ويجب أن توقف لصالح المسلمين.

فـ"الأراضي المفتوحة عنوة وقهرًا التي هي قسم من غنائم الحرب،

لا إشكال عندنا في عدم تقسيمها بين المقاتلين، بل يجب أن تبقى وقفًا على مصالح المسلمين، وقد تطابقت على ذلك فتاوى أصحابنا ورواياتهم"[*]..

والفقه الإمامي يستند في هذا الرأي إلى الأحاديث المروية عن أئمة أهل البيت(عليهم السلام)، ومنها:

ما رواه الكليني عن أبيه عن حماد بن عيسى عن بعض أصحابه عن أبي الحسن الكاظم(عليه السلام): «والارضون التي أخذت عنوة بخيل أو ركاب فهي موقوفة متروكة في يدي من يعمرها ويحييها ويقوم عليها على ما صالحهم الوالي على قدرطاقتهم من الخراج: النصف أو الثلث أو الثلثين، على قدرما يكون لهم صلاح ولا يضرهم»...

وأما بشأن الرأي الفقهي لدى أهل السنة فأكتفي بذكرما يلي:

١- رأي الإمام مالك، وهو أيضًا رواية عن الإمام أحمد بن حنبل: «لا تقسم الأرض، وتكون وقفًا على المسلمين، يصرف خراجها في مصالحهم من أرزاق المقاتلة وبناء القناطروالمساجد وغيرذلك من سبل الخير.

وهذا إذا لم يرالإمام في وقت من الأوقات أن المصلحة تقتضي القسمة فله أن يقسمها على المقاتلين.

والدليل عليه اتفاق الصحابة على ذلك، حينما امتنع عمرعن

---

*- دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية، المنتظري ١٨٣/٣، ط ١، سنة ١٤١٢هـ- ١٩٩١م .

تقسيم أرض السواد عندما طلب منه ذلك بلال وسلمان.

٢- رأي الإمام أبي حنيفة والثوري، وهو رواية ثانية عن الإمام أحمد بن جنبل، وهو: «الإمام مخيربين أن يقسمها على المسلمين المقاتلين أو يضرب على أهلها الخراج ويقرها بأيديه».

وفي معجم المغني أن « ما فتحه المسلمون عنوة ففيه ثلاث روايات.

إحداهن: أن الإمام مخّير بين قسمتها على الغانمين، وبين وقفها على جميع المسلمين.

الثانية: أنها تصيروقفًا بنفس الاستيلاء عليها، وعلى ذلك اتفاق الصحابة.

الثالثة: أن الواجب قسمتها».

«ومعنى وقفها: أنها باقية لجميع المسلمين يؤخذ خراجها ويصرف في مصالحهم ولايخص أحد بملك شيء منها» (*).

هذا على مستوى النظرية. أما على مستوى التطبيق - حاليًا - بالنسبة إلى أرض فلسطين حيث هي قضية تاريخية حدث فتحها وحسم الأمرفيها في حينه، ينظرما الذي طبقه الإمام في حقها ويسار عليه.

وبالنسبة إلى كل واحدة من الحالتين ما هو موقفنا نحن المسلمين - الآن - من الناحية الشرعية؟

وهذا يعني - وبوضوح - أن كلمة الفقهاء المسلمين متفقة على

---

*- معجم المغني في الفقه الحنبلي ٢٩٧/١١، ط ١، سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

أن أرض فلسطين وقف للمسلمين عامة، من كان موجوداً منهم عند الفتح الإسلامي لها، ومن سيوجد حتى تقوم الساعة.

وأن الرأي الفقهي في المسألة واحد لا خلاف فيه. وعليه:

ماهو الموقف الشرعي للمسلمين منها بعد أن اغتصبها اليهود؟

هذا ما سنحاول أن نتبينه في ما بعد.

وقبل الإجابة عن السؤال لابد من إلقاء الضوء الكاشف على طبيعة وهوية الاحتلال الإسرائيلي لأرض فلسطين لما له من مدخلية مباشرة في تحديد الجواب.

ولئلا أثقل البحث - أو المقال بالأحرى - بالإكثار من ذكر المصادر التي تعرضت لبيان طبيعة وهوية الاحتلال الإسرائيلي أذكر النتائج المهمة التي توصل إليها الأستاذ رفيق شاكر النتشة في دراسته الموضوعية الموثقة، والتي أسماها: «الاستعمار وفلسطين - إسرائيل مشروع استعماري».

قال في «التمهيد» : «لقد أردت أن أؤكد في هذا البحث بالأدلة التي تمكنت من الحصول عليها أن هذا المشروع هو مشروع استعماري في الأساس، وأن أفكاره وتنظيمه وتخطيطه لم يكن في البداية يهوديًا إذ سبق الصهاينة غيرُ اليهود،

في طرحه والعمل له ووضعه موضع التنفيذ، ولم يأت الصهاينة اليهود إلا متأخرين ليقوموا بدورهم كعملاء وأجراء للدول

الاستعمارية صاحبة هذا المشروع» [*].

والدول الاستعمارية صاحبة المشروع التي يشيرإليها - كما يوضح هذا مفصلاً في عدة فصول من الكتاب - هي: فرنسا وألمانيا و إيطاليا وبريطانيا وأمريكا.

«وعندما نجحت الدول الاستعمارية نتيجة للجهود المتواصلة التي قامت بها بريطانيا وأمريكا بإقامة دولة إسرائيل كثمرة للمشروع الصهيوني كان من الطبيعي أن تكون هذه الدولة قاعدة عسكرية للاستعمارالغربي ورأس جسرلعبورها إلى العالمين العربي والإسلامي لأن هذه الدولة لم تكن إلا مشروعًا تجاريًا استعماريًا من مشاريع الاستعمارفي هذا العالم".

«واختيارفلسطين بالذات لتكون على أرضها هذه الدولة المشروع الاستعماري يرجع إلى أهمية موقع فلسطين من ناحية استراتيجية جغرافيًا واقتصاديًا لأنها "تتوسط القارات الثلاث آسيا وأوروبا وأفريقيا، وهي تتصل عبرالبحرالأبيض المتوسط بأوربا، كما تتصل بالطرق البرية إلى الشرق الأقصى وعبرخليج العقبة تتصل بأفريقيا».

«وأهمية الشرق الأوسط للعالم الحربالغة إلى حد لا يحتمل المغالاة من الناحيتين العسكرية والاقتصادية» .

«وكان الجنرال ازينهاور قد كشف عن وعيه لمركزالمنطقة الفريد عندما صرح قائلاً: و إذا نظرنا إلى مجرد القيمة الإقليمية لم

---

*- الاستعماروفلسطين - اسرائيل مشروع استعماري - رفيق شاكرالنتشة / ١١، ط ٢ .

نجد منطقة في العالم تفوق الشرق الأوسط من حيث الأهمية الاستراتيجية» .

وفي ضوء هذا وباختصار تكون الإجابة:

يجب على المسلمين العمل من أجل استرجاع أرض فلسطين بكاملها كما لايجوز التعامل مع هذه الدولة التي تمثل القاعدة الاستعمارية للدول الغربية.

وموقف إيران من رفض السلام نابع من هذه الشرعية، ذلك أن إسرائيل مغتصبة لأرض إسلامية هي للمسلمين عامة وبإجماع فقهاء المسلمين كافة.

وهنا لابد من الكشف عن مفارقة مهمة وقع فيها غيرواحد ممن بررقضية السلام مع إسرائيل شرعيًا، وهي الاستدلال بآية السلام ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(*).

ذلك أن الاستدلال بهذه الآية لا يأتي في موضوعنا هذا وهو قضية فلسطين لأمرين هما:

١- إن موضوع قضيتنا يختلف عن مصاديق هذه الآية الكريمة، ذلك أن قضية فلسطين أرض إسلامية استلبت، فالحكم الشرعي يفرض استردادها و إعادتها إلى أصحابها الشرعيين وهم المسلمون.

وما تصدق عليه الآية الكريمة هم الكفار المحاربون الذين في

---

*- الأنفال / ٦١ .

ديارهم وأوطانهم لا في دار للمسلمين اغتصبوها من المسلمين، وسياق الآية في القرآن الكريم واضح كقرينة على ذلك.

٢- أن الحكم في آية السلم مرحلي انتهى بنزول سورة براءة.

وقد أوضح هذا المرحوم سيد قطب في تفسيره، قال: «وعلى أية حال فالذي ننتهي إليه، أن قول الله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، لا يتضمن حكمًا مطلقًا نهائيًا في الباب، وإن الأحكام النهائية نزلت في ما بعد في سورة براءة.

إنما أمر الله رسوله أن يقبل مسالمة وموادعة ذلك الفريق الذي اعتزله فلم يقاتله، سواء كان قد تعاهد أو لم يتعاهد معه حتى ذلك الحين.

وأنه ظل يقبل السلم من الكفار وأهل الكتاب حتى نزلت أحكام سورة براءة، فلم يعد يقبل إلا الإسلام أو الجزية - وهذه هي حالة المسالمة التي تقبل ما استقام أصحابها على عهدهم - أو هو القتال ما استطاع المسلمون هذا، ليكون الدين كله لله».

ثم يقول:

«ولقد استطردت بعض الشيء في هذا البيان، وذلك لجلاء الشبهة الناشئة من الهزيمة الروحية والعقلية التي يعانيها الكثيرون ممن يكتبون عن "الجهاد في الإسلام" فيثقل ضغط الواقع الحاضر على أرواحهم وعقولهم، ويستكثرون على دينهم - الذي لا يدركون

حقيقته - أن يكون منهجه الثابت هو مواجهة البشرية كلها بواحدة من ثلاث: الإسلام، أو الجزية، أو القتال، وهم يرون القوى الجاهلية كلها تحارب الإسلام وتناهضه، وأهله - الذين ينتسبون إليه وهم لا يدركون حقيقته ولا يشعرون بها شعورًا جديًا - ضعاف أمام جحافل أتباع الديانات والمذاهب الأخرى، كما يرون طلائع العصبة المسلمة الحقة قلة بل ندرة، ولا حول لهم في الأرض ولا قوة، وعندئذ يعمد أولئك الكتّاب إلى لَيّ أعناق النصوص ليؤولوها تأويلاً يتمشى مع ضغط الواقع وثقله، ويستكثرون على دينهم أن يكون هذا منهجه وخطته.

إنهم يعمدون إلى النصوص المرحلية، فيجعلون منها نصوصًا نهائية، و إلى النصوص المقيدة بحالات خاصة فيجعلون منها نصوصًا مطلقة الدلالة، حتى إذا وصلوا إلى النصوص النهائية المطلقة أوّلوها وفق النصوص المقيدة المرحلية، وذلك كله كي يصلوا إلى أن الجهاد في الإسلام هو مجرد عملية دفاع عن أشخاص المسلمين، وعن دار الإسلام عندما تهاجم، وأن الإسلام يتهالك على أي عرض للمسالمة، والمسالمة معناها مجرد الكف عن مهاجمة دار الإسلام...